

دراسات في المخطوطات العربية

بدير القديسة كاترينه في سيناء

للدكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مقدمة :

يعتبر دير القديسة كاترينه الرابض في أحضان جبل موسى في قلب جزيرة سيناء ، على ارتفاع ١٥٦٠ متراً من مستوى سطح البحر ، من الآثار الخالدة للامبراطور البيزنطي جستنيان وزوجه الامبراطورة تيودورا . وقد نسب الدير متأخراً إلى القديسة كاترينه السكندرية التي كانت قد تركت عبادة الأوثان ، واعتنقت المسيحية وأخذت تدعو لها ، فانزعج الوثنيون وضايقوها إلى أن انتهى الأمر باستشهادها . فلما أقيم الدير بأمر جستنيان في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي ، نقلوا اليه رفاتها ، ومن ثم سُمي باسمها ، وكان ذلك في القرن الثامن ، أي بعد وفاة هذه القديسة بمئات من السنين . وداخل هذا الدير وبين جدرانها يعيش بعض الرهبان ، منقطعين للصلاة والعبادة والتأمل في ذات الله العلية (١) . يعيشون لربهم وهم يتحنون

(١) حول الدير وتاريخه والقديسة كاترينه ، أنظر المراجع التالية : حسن مظهر : تاريخ دير القديسة كاترين - مقال بمجلة السياحة المصرية - العدد ١١٦ (١٩٦٦) ص ١٩ - ٢٦ .
راسع أيضا مؤلفات رابيتو وبماسيلي وفورسايت التالية : Rabino, M. H. L., Le Monastère de Sainte Catherine du Mont - Sinai, Le Caire, 1938, 11 ff.; Bassili, W. F., Sinai and St. Catherine Monastery, Cairo, 1957, 77; Forsyth, G. H., "Island of Faith in the Sinai Wilderness," National Geographic Magazine, January 1964, 84 ff.

وتزودنا كتب الرحالة والمخترانيين العرب والأجانب الذين زاروا سيناء ومنطقة أديرهل من العصور ، وكذلك كتب السالك والمناك والمخطوط العربية بمادة غزيرة قيمة جدا المخصوص . وقد وردت الإشارة إلى سيناء في كتاب الله " والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين " . أنظر القرآن الكريم - سورة التين - الآيات ١-٣ .

بعطف وحمية الحكام المسلمين في مصر في العصور التاريخية المختلفة، مما يكشف عن تسامح الإسلام ورعايته الصادقة للأديان السماوية (١).

ولا يزال دير القديسة كاترينه شاخصاً حتى اليوم يروى قصة قرون عديدة خلقت . فهو آية من آيات الفن والمعمار البيزنطي ، من حيث جماله وما احتواه من المباني والقباب الرائعة ، والصور واللوحات النادرة ، والفسيفساء ذات الألوان الخلابية الزاهية ، التي لا زالت تحتفظ بروبقها وبهاثها حتى يومنا هذا . فضلاً عما يحويه من الكنوس والأواني واللخائر المقدسة من ذهبية وفضية . ومع ما للدير من أهمية فائقة ، فإنها لا تقاس بجانب مجموعة الأيقونات التي توجد به ، والتي لا يوجد مثلها في العالم ، خاصة إذا عرفنا أن حركة محطى الأصنام في القرن الثامن الميلادي ، التي بدأها الامبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري (٧١٧ - ٧٤٠) ، ولم تسلم منها كنيسة أو دير في العالم المسيحي المعروف وقتذاك ، لم تمتد إلى دير القديسة كاترينه لبعده وانزاله ، فحفظت لنا تراثاً له قيمة الأثرية والتاريخية والفنية التي يصعب تقديرها .

وإلى جانب هذه المجموعة من الخلفات والمخائر المقدسة ، توجد مجموعة أخرى لا تقل عنها في أهميتها ، وهي المخطوطات والوثائق التي تحتفظ بها الدير . إذ تشتمل مكتبته بصيت ذائع في كافة الأوساط العلمية ، حتى أنها اجتذبت إليها أنظار الدارسين من مختلف أنحاء العالم . فهي تحتوى على وثائق ومخطوطات نادرة ظلت قابضة بالدير لأجيال طويلة ، لقيت فيها الكثير من الإهمال . ولكنها نقلت أخيراً إلى مخزن جديد تتوفر فيه وسائل

(١) أنظر من ذلك مقال المنون « دراسة في وثائق العصرين الفاطمي والأيوبي المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين في سيناء » - مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - العدد ١٨ (١٩٦٤) الاسكندرية ١٩٦٥ - ص ١٨٤ وما بعدها ١٨٩ - ١٩٠ . راجع أيضاً حسن - حسي : التسامح الاسلامي تجاه دير سانت كاترين - مقال بمجلة السياسة المصرية - العدد ١١٦ (١٩٦٦) - ص ١٧ - ١٨ ؛ جمال الدين الشبال : مجموعة الوثائق الفاطمية - المجلد الأول - ط . ثانية - الاسكندرية ١٩٦٥ - ص ١١ - ١٢ .

الاضاعة والنظافة والتهرية ، وأصبحت موضع اهتمام المسئولين بالدير وعنايتهم .

وتضم هذه المكتبة مجموعة نادرة من المخطوطات التي دونت فيها بين القرنين السادس والتاسع عشر ، يبلغ عددها قرابة ٤٥٠٠ مخطوطة ، مكتوبة بانثى عشرة لغة هي : العربية ، واليونانية القديمة ، والسريانية ، والقبطية ، والجورجانية ، والحبشية القديمة ، والتركية ، والفارسية ، والأرمينية ، واللاتينية ، والملايونية ، والبولونية (١) . وقد تجمعت هذه المخطوطات في الدير منذ انشائه ، وأخذ عددها يزداد على مر العصور ، بفضل الرهبان الذين كانوا يقدون اليه من كل مكان . كذلك يحتفظ الدير بمجموعة هائلة من الوثائق التي تتميز بمجديتها وأصالتها ، والتي يبلغ عددها ١٧٤٢ وثيقة ، منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية و ٦٧٠ وثيقة باللغة التركية (٢) ، وهي تحتوي على عقود وصكوك ومراسيم ومنشورات وقرامانات ومعاهدات وفتاوى وحجج ومحاضر وأوامر ادارية .

بمنا جامعة الاسكندرية والهيئات العلمية الأمريكية إلى الدير :

ظلت هذه الثغائن معنورة في الدير قرونًا طويلة ، لا يكاد يحس بها أحد حتى أوائل القرن العشرين ، حينًا بدأت أنظار العلماء تتجه إليها ، وتحاول الكشف عنها وتليط الأضواء عليها . وقد أسهمت جامعة الاسكندرية

(١) يدل تعدد لغات المبرمة الخطية على تعدد انتمويات التي عاشت بالدير في مختلف العصور على امتداد أربعة شرفنا أريزيد . أنظر أحمد محمد صبي : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين سيناء - مقال بالمجلة التاريخية المصرية - المجلد الخامس (١٩٥٦) - القاهرة ١٩٥٦ - ص ١١٩ .

(٢) ذكر الدكتور مراد كامل في مقال بمجلة السياسة المصرية أن عدد الوثائق العربية ١٠٦٧ وثيقة في حين أنها ١٠٧٢ ، وأن الوثائق التركية عددها ٥٥٩ والواقع أن عددها ٩٧٠ وثيقة . أنظر مراد كامل : الكنوز الخفية بدير سانت كاترين ، طور سيناء - مقال بمجلة اصباح المصرية - العدد ١١٩ (١٩٦٦) - ص ٢٩ . ويلاحظ أن سيادته ذكر الرقم الصحيح لهذه الوثائق في فهرست . أنظر مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء - ص ١٦ (القاهرة ١٩٥١) ص ١٣١ وص ١٩٧ .

في أواسط هذا القرن بدور بارز في هذا المضمار. ففي سنة ١٩٥٠ قامت بعثة مشتركة من جامعة الاسكندرية ومكتبة الكونجرس الأمريكية لتصوير أهم مخطوطات الدير بالميكروفيلم ، وكان على رأسها المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي أول عميد لآداب الاسكندرية، واندكتور عزيز سوريال عطيه أستاذ تاريخ العصور الوسطى السابق بها ، وكبير أساتذة التاريخ بجامعة يوتا الأمريكية حالياً . وقامت البعثة بالعمل بعمل صور ميكروفيلم لأهم هذه المخطوطات . وكانت النتائج التي حققتها تفوق حد التصور . إذ تم تصوير مليون ورقة مأخوذة من خمسة آلاف مخطوطة ووثيقة مكتوبة بانثني عشرة لغة . وقد احتفظت كل من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ومكتبة الكونجرس بواشنطن بنسخ من صور الميكروفيلم الخاصة بهذه المخطوطات ، حتى تكون في متناول الدارسين والباحثين يهلون من فيضها .

وفي عام ١٩٦٣ قامت بعثة أخرى اشتركت فيها كل من جامعة الاسكندرية وجامعتي متشيجان وبرنستون بأمريكا لمواصلة العمل الذي بدأته بعثة ١٩٥٠ ، والقيام ببعض الدراسات الفنية والأثرية والتاريخية في الدير ومخطوطاته وأيقوناته . وكان على رأس هذه البعثة الدكتور أحمد فكرى رئيس قسم التاريخ بآداب الاسكندرية سابقاً وأستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية السابق بها . وكان من حسن حظي أن أتيت في فرصة الاشتراك في هذه البعثة الثانية ، حيث تمت بزيارة الدير المذكور مرتين في أخريات عام ١٩٦٣ (١) .

مجموعة مخطوطات سيناء العربية ومحتوياتها :

أمضيت الشطر الأكبر من هاتين الزيارتين بين جدران مكتبة الدير ، حيث عكفت على مراجعة وثائقه ومخطوطاته العربية ، وأعانتني عملي الفني

(١) كانت الزيارة الأولى في الفترة من - إلى ٢٤ أكتوبر ، والثانية في الفترة من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣ . هذا ، وفيما بين بعثتي ١٩٥٠ و ١٩٦٣ قامت في عام ١٩٥١ بعثة علمية اشتركت فيها جامعات الاسكندرية ومتشيجان وبرنستون .

مكتبات جامعة الاسكندرية ومكتبتها العامة قبل التحاق هيئة التدريس بأداب الاسكندرية ، على التعرف على تلك الوثائق والمخطوطات عن قرب ، وإدراك ما تتمتع به من قيمة تاريخية نادرة ، جعلت طلاب العلم من مختلف بقاع العالم يهاقون عليها وينقبون فيها ، ثم يخرجون علينا بكتب وبحوث ودراسات ، تلقى المزيد من الضوء على أحداث ووقائع هامة أغفلها المصادر التاريخية التي بين أيدينا ، أو مرت عليها من الكرام (١) .

وقد بلغت المجموعة العربية ٦٩٧ مخطوطة ، منها ٣٦ فاقد ، و ٥٩ كتاباً مطبوعاً ، ومخطوطة قبطية تحمل رقم ٣٨٩ - عربي ، وأخرى فارسية تحمل رقم ٦٩٢ - عربي . وعلى هذا يكون مجموع المخطوطات العربية المتبقية بالدير - بعد استبعاد الفاقد والمطبوع والمخطوطتين القبطية والفارسية - هو ٦١٠ مخطوطة ، قامت بعثة ١٩٥٠ بتصوير ٣٠٥ منها ثم اختيارها بعناية فائقة .

ومن هذه المخطوطات السائة ٢٨ مخطوطة على رق ، واثنان على ورق وورق ، والباقي على ورق . ومن بينها أيضاً مخطوطات بها عدة نصوص

(١) أذكر ، هل سيلب المثال ، مقالين للدكتور عزيز سوريال عليه من بعض مخطوطات الدير العربية ، الأول من انديس بوسنا المتشقق والترجم العربية غير المنشورة لأعماله المخطوطة في سيناء ، والثاني من المصحف الذي يحمل رقم ٥١٤ سيناء - عربي وقد اكتشفه الدكتور سوريال أثناء بعثة ١٩٥٠ ، كما أشار سيده إليه في محاضرة عامة ألقاها بمكتبة الكونجرس عام ١٩٥٦ من البثتين واخير ومخطوطاته . أنظر Atiya, A.S., "St. John Damascene : Survey of the Unpublished Arabic Versions of his Works in Sinai," reprinted from Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A. R. Gibb, London, 1965, 73 — 83 ; idem, "The Codex Arabicus of Mt. Sinai," reprinted from the Indian Archives, Vol. VII, No. 1 - January - June, 1953, 1 — 2 & plates.

وسنعرض لذلك بالتفصيل في ختام هذا البحث .

وفي جانب هذه الدراسات في المجموعة الخطية العربية ، هناك أيضاً عشرات البحوث والمقالات التي تناولت الدير وقوانينه ونحوه وأيقونته ومخطوطاته الشرقية والأجنبية ووثائقه لزلاء لم نتكلم في هذه المجالات ، فذكر من بينهم العالم الألماني كورت فايتزمان Kurt Weitzmann ، والزلاء الدكتور السيد عبد العزيز سامي والدكتور محمد محمود السروحي والدكتور حسن صبحي والدكتور لطف عبد الوهاب يحيى والدكتور داود عبده والدكتور سامي شودة ، وغيرهم .

إضافة بغير العربية إلى جانب النصوص العربية الأصلية . فهناك ثمان مخطوطات بها نصوص عربية ويونانية ، ومخطوطة واحدة بها نصوص سريانية ، واثنان هما نصوص تركية ، إلى جانب النص العربي (١).

وترجع أهمية هذه المخطوطات أنها أقدم ما عرف من مخطوطات عربية مسيحية تمتاز نصوصها بقيمتها الفائقة في النواحي العلمية والدينية والتاريخية والفلسفية واللاهوتية . وهي تضم مصاحف عديدة فريدة في نوعها تتناول كل مراحل الثقافة المسيحية في الحقبة الوسيطة من التاريخ بصفة خاصة . ويمكن تقسيمها موضوعياً إلى الأقسام الستة التالية :

- ١ - أجزاء الكتاب المقدس ، وتتضمن بعض أسفار العهدين القديم والجديد .
- ٢ - كتب كنيسية ، وتتضمن قراءات من النبوات والأناجيل وصلوات وقدامات .
- ٣ - كتب لاهوتية ، وتتضمن عظات ومبامر وتعاليم وأقوال الآباء والرسل والتقيدين .
- ٤ - كتب تاريخية ، وتتناول سير وتراجم القديسين ، فضلاً عن العديد من كتب التاريخ العام .
- ٥ - قوانين المجامع الكنيسية الكبيرة والصغيرة .
- ٦ - مضرقات ومواضيع مختلفة في نواح متشعبة متعددة . (٢)

واضح من هذا التصنيف أن غالبية مخطوطات المجموعة العربية مسيحية الطابع والموضوع . فهي ، في الواقع ، تتحدث عن قصة المسيحية في العصور الوسطى . وتمدنا بمعلومات قيمة من الطراز الأول عن نشأة الرهبنة

(١) أنظر من ذلك أحمد محمد ميسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسينا - ص

١٠٦-١٠٧ .

(٢) أنظر مراد كامل : الفهرست - ج ١ - ص ١٦ .

في مصر على هيئة حركة توحيدية انفرادية قام بها كثير من النساك المتوحدين الذين عاشوا في الصحراء الشرقية ، مثل القديس بولا (بولس) المتوفى حوالي سنة ٢٧٠ م والقديس انطونيوس المتوفى سنة ٣٥٦ م . كما نستشف من سير وتراجم وأعمال عدد من آباء الكنيسة الأول ، مثل القديس باخوميوس (٢٩٠ - ٣٤٨ م) ، كيف تطور نظام الرهبة إلى ما عرف بحركة الحياة أو الشركة الاجتماعية للرهبان . وتلقى أقوال وتعاليم هؤلاء الرواد الأوائل الضوء على نظم الرهبة وتوانينها وتعاليمها ومعيشة الرهبان وحياتهم داخل قلاياتهم وأديرتهم ، وملبسهم ومأكلهم ، وأوقات الصلاة والخلعة والعبادة ، وما إلى ذلك مما حفلت به تلك المجموعة الخطية .

وفضلاً عن ذلك ، فهي تروى كيف انتقلت الرهبانية من مصر إلى أوروبا على يد القديس اثنا عشر السكندري الذي كان بطريقاً على الاسكندرية ، ثم نفى من كرميه ورحل إلى روما سنة ٣٤٠ م ومعه أفكار واضحة عن الرهبة المصرية . وقد ساعدت على انتشارها في أوروبا كتابات عدد من القديسين ، من أمثال القديس جيروم الذي ترجم حياة الرهبان المصريين وأنظمتهم إلى لاتينية العصور الوسطى ، وكتاب بالاديرس المعروف باسم «بتان الرهبان» أو «بتان الآباء» عن حياة رهبان مصر وسيرهم وأقوالهم .

كذلك نجد في مصاحف المجموعة العربية ببناء الشيء الكثير الذي يلقي أضواء جديدة على انتقال الرهبة من مصر إلى شرق أوروبا ، ونعني بذلك الدولة البيزنطية ، وكيف بدأت الحركة الديرية هناك على يد القديس بازيل اليوناني في القرن الرابع الميلادي والذي تعتبر تعاليمه بداية للحياة الديرية المنظمة (١) .

(١) مكتبة الدير حافلة بعشرات المخطوطات العربية للتيقنة الخاصة بسير وتراجم وأقوال وتعاليم أولئك الآباء الأول ، وبخاصة أنطونيوس وباخوميوس وبازيل ويوحنا فم الذهب . كذلك توجد بانهير حوالي أربعون مخطوطة من كتاب «بتان الرهبان» تتضمن أقوال وسير وتعاليم أولئك الآباء . وقد قمت بحصر أهم المخطوطات العربية ببناء الخاصة بعدد من القديسين =

وإذا كانت الرهينة والديرية ، وسير الآباء والتقيسين وأعمالهم ، وتراجم كبار رجال الكنيسة وأخبارهم ، قد حظيت بنصيب وافر في مخطوطات المجموعة العربية ببناء ، فهناك جانب آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، ونعني به موضوع الخلافات المذهبية والانقسامات الدينية التي قامت بين المسيحيين في القرون الأولى من العصر الوسيط ، بعد فترة من الزمان قضتها العالم المسيحي متحداً لا يعكس صفوه شيء . وقد أدت هذه الانقسامات إلى التباعد بين شقي العالم المسيحي ، وإلى ظهور المذاهب الدينية المتعددة . كما أثارت الكثير من الجدل والنقاش . وجاهد أباطرة الدولة البيزنطية - بحق وجودهم في القسطنطينية كراعية للكنائس المسيحية الأخرى - جاهدوا في سبيل القضاء على هذه الانقسامات ، والعمل على توحيد تلك المذاهب ، عن طريق عقد مجامع دينية كنيسية عرفت في التاريخ باسم «المجامع المسكونية» التي ضمت كل اساقفة العالم المسيحي وكبار رجال الدين فيه ، بقصد التشاور والنقاش في المسائل المذهبية والخلافات الدينية ، أو لإعلان رأيهم في هرطقة أو بدعة ما كالأريوسية والنسطورية . وكان لقرارات هذه المجامع المسكونية ، التي عقدت فيما بين عامي ٣٢٥ و ٧٨٧ م ، أهمية كبرى في تلك الأزمنة البعيدة . إذ اعتبرت الأساس الذي بنيت عليه العقيدة المسيحية . ويتضح مما جاء في المخطوطات العربية ببناء الخاصة بتلك المجامع ، أن مهمتها كانت وضع القواعد الأصلية للديانة المسيحية على أساس الكتب المقدسة وتعاليم التقيسين (١).

 ١- أنشال أنطونيوس وباسكومبيوس وبازيل ويوحنا فم الذهب في كتاب كروتون (ج . ج) :
 عالم التصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق د . جوزيف نسم يوسف
 مطب . ثاقبة - الإسكندرية ١٩٦٧ - ص ١٦٨ ح ٢ و ص ١٧٠ ح ١ و ص ٢٨٩ ح ١ . هذا ،
 وأتوم حالياً باعداد دراسة مستقلة عن مخطوطات « بستان الرهبان » المحفوظة بدير سيناء .

(١) فيما يتعلق بهذه المجامع ، أنظر مخطوطات سيناء العربية أرقام ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٥٢٦ و ٥٩١ و ٦٠٠ . ويعتبر المؤلف القيم الذي وضعه بالانجليزية الدكتور عزيز سوريال عليه عن تاريخ المسيحية الشرقية أحدث وأفضل ما كتب في هذا الموضوع . أنظر

Atya, A. S., A History of Eastern Christianity, London, 1968, 55 ff.

وهكذا ترسم لنا تلك المصاحف العربية صورة حية دقيقة نابضة للمسيحية وتاريخها وكنيتها ورجالها في العصور الوسطى التي اقتطعت من تاريخ البشرية زهاء عشرة قرون من الزمان . وهكذا نتمضي بنا مصاحف تلك المجموعة لتذكر في كثير من التفصيل والتحليل والتدقيق كل ما يتعلق بالمسيحية وأفكارها وفلسفتها وخلافاتها وانقساماتها ، والآثار التي طبعها على العقل والفكر الوسيط وعلى نظمته وحضارته ، بل وعلى حياة الفرد الخاصة والعامة وتلك . كما تكشف عن الدور الخطير الذي قام به الجهاز الكنسي ابان الحقبة الوسيطة من التاريخ ، وكيف طبع الحياة خلال ألف عام أو يزيد بطابع خاص ، وأعطى المجتمع المسيحي ملامح وسمات مميزة . وشخصية لها كيانها وخصائصها ومقوماتها الخاصة بها .

ويلاحظ أنه إلى جانب الأهمية التاريخية للمادة التي تحتوي عليها مصاحف المجموعة العربية ، فإنها تزود الشخص بقدرة كبيرة من المعلومات المتعلقة بالخطوط العربية ، إذ تبعه على دراسة تطور الكتابة والاملاء والخط العربي عبر القرون المتعاقبة . ويلاحظ أيضاً أن هذه المصاحف لا تقتصر على الدراسات المسيحية البحتة أو تلك التي تتعلق بالكتاب المقدس ، إنما تضم إلى جانب ذلك العديد من البحوث القيمة في ميادين شتى من الدراسات الانسانية والعلوم الدينية كالطب والفلك والموسيقى ، وما إلى ذلك .

هذه غجالة لازمة عن الدير وتحفه ومخطوطاته والمجموعة العربية التي يحفظها ومحتوياتها . ولتقييم هذه المجموعة تقيماً حقيقياً صادقاً ، وتقدير قيمتها العلمية والتاريخية ، يجب أن نتناولها بالدراسة والنقد والتحليل في شيء من الاسهاب والتفصيل . ويتضمن الحديث عنها إلى عشر نقاط رئيسية هي :

(أولاً) تحديد تاريخ مخطوطات المجموعة العربية :

يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين التاسع وثمانع عشر للميلاد . ويلاحظ أن غالبية هذه المصاحف قد دونت في الفترة الوسيطة من التاريخ ، وأن عدداً قليلاً جداً منها دون بعد ذلك . ويرجع الفضل إلى القلوفونات

التي اختتمت بها كثير من هذه المصاحف في تحديد تاريخ كتابتها تحديداً دقيقاً قاطعاً . والتلوفون هو جزء ختامى من المخطوط ويقلم الكاتب نفسه . وفيه يشير الكاتب ... عادة ... إلى تاريخ الفراغ من كتابة المخطوط . وعلى هذا الأساس تم تحديد تاريخ عدد كبير من المخطوطات تحديداً صريحاً . ومع ذلك ، فإن كثيراً من مصاحف المجموعة العربية غير معروف تاريخها ، ولم ترد بها - لسوء الحظ - خواتيم يقلم كتابها تبين الدارسين على معرفة تاريخ تدوينها .

وهناك ، على أية حال ، وسائل عديدة أمكن عن طريقها تحديد تاريخ المخطوطات غير المؤرخة تحديداً تقريبياً اجتهادياً . من ذلك نوع المداد ولونه ، ونوع الورق المستعمل وحجمه . ونوع القلم الذي كتب به ، ونوع الخط المستخدم في الكتابة . بالإضافة إلى اشارات وردت في بعض التعليقات الإضافية التي تضمنتها كثير من هذه المخطوطات : تفيد اطلاع القراء عليها في عصور لاحقة . مثال ذلك المخطوط رقم ٣١ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزامير» ، وتاريخه غير معروف على وجه التحديد . ولكن عثر على تعليق مؤرخ يتضمن اطلاع أحد القراء عليه . وساعد هذا التعليق على تحديد تاريخ المخطوط بحوالى القرن الثاني عشر الميلادى (١) . ومن الوسائل التي لجأ الباحثون إليها لتحديد تواريخ كتابة المصاحف غير المؤرخة ، مقارنة المصاحف بعضها ببعض . مثال ذلك المخطوط رقم ٣٢ سيناء - عربي . وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه غير معروف . ولكن بالمقارنة اتضح أنه من نفس مدرسة الخط المستخدم في المخطوط رقم ٣٠ سيناء - عربي ، وموضوعه هو الآخر «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه محدد وهو سنة ٣٦٧ هـ

(١) وورد التلويح المذكور على ورقين ٢٠ ب و ٢١ ا . أنظر أيضاً المخطوط رقم ٤٣ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» وتاريخه غير معروف ، ولكن ورد به تعليق إضافي (ورقة ١٧٢ ب) يفيد اطلاع عليه ، وتاريخ التعليق ٨٨٨٠/١٤٧٧ م ؛ وعلى هذا يحتمل أن يكون تواريخ المخطوط هو القرن الرابع عشر . أي قبل تاريخ القراءة المؤرخة الواردة به .

التي توافق سنة ٩٧٧ م . وعلى هذا يمكن القول بأن المخطوط رقم ٢١ دون حوالي القرن الحادى عشر للميلاد . وهناك أيضاً - على سبيل المثال - المخطوط رقم ٣٣ سيناء - عرقى ، وموضوعه لامزامير وتساويح ٥ ، وتاريخه غير معروف ، ولكن يوجد على ورقته ٧ ب و ٨ نقشان صغيران يبدو فيهما الأثر القبطى واضحاً ، وتحيط بهما باللغة القبطية كلمة *ΙΗΣ ΠΧΣ* (١) ومعناها يسوع المسيح . وهذا يدل على أنه يرجع إلى القرن الثالث عشر لسبب بسيط ، وهو أن القبط لم يبدأوا فى التلوين باللغة العربية الا اعتباراً من ذلك القرن .

والخلاصة أن تحديد تاريخ المخطوطات التي بدون تاريخ هو تحديد غير قاطع ، ولا يعدو أن يكون أكثر من محاولة اجتهادية من قبل الباحثين . وعلى أية حال ، هناك احدى عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادى منها ثلاث مؤرخة بالسنين الميلادية ، وثلاث مخطوطات ترجع فيها بين القرنين التاسع والعاشر ، وتسع عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن العاشر منها أربع مؤرخة بالسنين الميلادية ، ومخطوطتان يرجع تاريخهما فيما بين القرنين العاشر والحادى عشر ، وخمس وعشرون مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر منها اثنتا عشرة مؤرخة بالسنين الميلادية ، ومخطوطتان ترجعان فيما بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، واثنتان وسبعون مخطوطة ترجع إلى القرن الثانى عشر منها اثنتان وعشرون مؤرخة ، واحدى عشرة مخطوطة فيما بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وثلاثمائة واثنتان وثلاثون ، مخطوطة ترجع إلى القرن الثالث عشر المؤرخ منها مائة وخمسة عشر ، وثلاث وأربعون مخطوطة ترجع إلى القرن الرابع عشر منها المؤرخ ثلاث وثلاثون ، وثمان عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن الخامس عشر منها المؤرخ اثنتا عشرة ، وتسع مخطوطات ترجع إلى القرن السادس عشر منها خمس مؤرخة بالسنين الميلادية ، وأربعون مخطوطة ترجع إلى القرن السابع عشر منها تسع عشرة

(١) هذه مختصر كلمة *Ιησους Πιχριτος* ونظائرها "يسوس بي ايسريستوس" ،

وترجمتها يسوع المسيح ، ومختصرها باليونانية *Ι ης Π χς* .

مؤرخة ، وثلاث مخطوطات ترجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر ،
وثمان عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن الثامن عشر منها اثنا عشرة مؤرخة
بالسنين الميلادية ، ومخطوطة واحدة فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع
عشر ، وأخيراً أربع مخطوطات كلها مؤرخة ترجع إلى القرن التاسع عشر (١).

(ثانياً) دراسة تطور الكتابة والخط العربي :

تضم المجموعة العربية مصاحف مدونة بأنواع عديدة من الخطوط ،
تختلف بين الحسن والردىء والرفيع والسليك ، وتحتاج في كثير من الأحيان
إلى جهد وصبر ومثابرة حتى يتعلمها الباحث ، ويتلرب على قراءتها والإفادة
منها . وإن مثل هذه الدراسة توفر للباحث الكثير من الوقت وتجنبه الوقوع
في العديد من الأخطاء . وتضح أهمية هذه الدراسة بالنسبة للمجموعة الخطية
العربية التي يرجع معظمها إلى الحقبة الوسيطة من التاريخ . فهي تمدنا
بقدر كبير من المعلومات المتعلقة بالخطوط العربية ، وبمادة قيمة نادرة
عن نمو هذه الخطوط وتطورها والاشكال المختلفة التي كانت تكتب بها .
فإنها النسخي ، ومنها الرقعة ، والنشليقي ، والكوفي ، ومنها أيضاً الوسط بين
الكوفي والنسخ . وهي تكشف كذلك عن وجود أنواع عديدة لكل من هذه
الخطوط ، التي تبدو فيها الأساليب المختلفة المشرقة للجمال الخطي العربي
الذي ينتمي إلى كل حقبة من حقب العصر الاسلامي . وهي أخيراً تزود
الدارس في علم قراءة الخطوط Paleography بمادة دسمة ، وتفيد
في الكشف عن نواح كثيرة من التاريخ .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص ، نقول ان المجموعة العربية
تضم مخطوطات مكتوبة بالخط الكوفي (٢) من القرون التاسع والعاشر

(١) هذا البيان الاصحاحي وارد في : مراد كامل : القهرست - ج ١ - ص ١٦ - ١٧ .
ومنه يتضح أن الجانب الأكبر من مخطوطات المجموعة العربية يرجع تدوينه إلى الحقبة
الوسيطة من التاريخ .

(٢) وهو الخط المستقيم بمدتهذب . أنظر لوحة رقم ٣ ولوحة رقم ٤ .

والحادى عشر ، وتعتبر أقدم ما وصل إلينا فى ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية (١) ؛ منها أربع عشرة مخطوطة من القرن التاسع كلها مكتوبة على الرق ، واحدى وعشرون مخطوطة من القرن العاشر . وهناك أيضاً الخط الوسط بين الكوفى والنسخ القديم (٢) ، وكذلك النسئلىق (٣) أما غالبية المجموعة فمكتوبة بالخط النسخ بأنواعه المختلفة . فن هذه الأنواع النسخى الجيد (٤) ، والنسخى المنسق المنتظم (٥) ، والنسخى الجيد المنسق (٦) ، والنسخى الردىء (٧) ، والنسخى العتيق الجيد (٨) ، والعتيق المنسق (٩) ،

(١) أنظر، على سبيل المثال ، مخطوطة رقم ١ سيناء - عربى ، وموضوعها « العهد القديم » وتاريخها حوالى القرن التاسع الميلادى .

(٢) أنظر مخطوطة رقم ٢ سيناء - عربى ، وموضوعها « العهد القديم » ، وتاريخها سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٧ سيناء - عربى ، وموضوعها « أخبار الأيام » ، وتاريخها حوالى القرن العاشر الميلادى . والخط الوسط بين الكوفى والنسخ هو قاعدة شاذة ، لم يقرتها إلا أنس داخلىن على الفن . أنظر لوحة رقم ٥ .

(٣) النسئلىق هو عبارة عن قائمة خطية تجمع بين النسخ والتلث بتصرفات خاصة . ونجد مثلاً وضحاً لهذا النوع من الخط فى المصحف رقم ٦٨ سيناء - عربى ، وموضوعه « الأنجيل الأربعة » ، وتاريخه حوالى القرن الرابع عشر ، والخط المستخدم هو النسخى المتناز باليتلين لوزيع والتليظ ، ونسئلىق مذاهب فى وسط الصفحة . أنظر مثلاً ، ورقة ٨٥ - ٨٦ من المصحف المذكور . أنظر أيضاً لوحة رقم ١ .

(٤) أنظر مخطوطة رقم ٣ سيناء - عربى ، وموضوعها « العهد القديم » ، وتاريخها ١٣٥٨ م ، والخط المستخدم فى كتبها هو النسخى الجيد ، وهو الخط الذلوف فى تلك الفترة من الزمن .

(٥) أنظر المخطوطات العربية بسيناء التى تحمل أرقام ٥ و ٦ و ٩ و ١٢ و ٢٧ و ٣٧ و ٤٠ و ٤٦ .

(٦) أنظر المخطوطات العربية بسيناء التى تحمل أرقام ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٨ و ٣٤ و ٣٦ و ٤١ و ٤٢ و ٥٠ .

(٧) أنظر مخطوطة رقم ٤ سيناء - عربى ، وتاريخها ٨٣٥٣ / ١٩٦٣ م ، وموضوعها « العهد القديم » ، وكذلك مخطوطة رقم ٣٢ سيناء - عربى .

(٨) أنظر مخطوطة رقم ١٩ سيناء - عربى ، وموضوعها « النبوات » وتاريخها حوالى القرن الثالث عشر .

(٩) أنظر مخطوطة رقم ٢٣ سيناء - عربى ، وكذلك مخطوطة رقم ٤٣ سيناء - عربى . أنظر أيضاً لوحة رقم ٦ .

والعتيق الجيد المتسق (١) ، والعتيق الرديء (٢) ، والغليظ أو العريض
اليدائي (٣) . وهناك أيضاً الغليظ المتسق (٤) ، والنسخي العتيق بالنبط
الكبير المتسق (٥) ، والنسخي الجيد بالنبط الصغير الرفيع (٦) ، والنسخي
الممتاز الرفيع والسليك (٧) .

ومعظم هذه المخطوطات غير منقطة ، وبخاصة تلك التي ترجع إلى الفترة
الوسيطة من التاريخ . وقليل منها تم تنقيطه جزئياً ، والتنقيط في الغالب
بمداد مغاير ، وربما تم ذلك في عصر لاحق لكتابة المخطوط (٨) . وما يقال
عن التنقيط يقال أيضاً عن الضبط والتشكيل . فقليل منها تم ضبط حروفه
أو كلماته (٩) . وثمة ملاحظة أخرى هي أن العناوين ورءوس الموضوعات
في الجانب الأكبر من هذه المصاحف معلمة جزئياً أو كلياً بالمداد الأحمر ؛
وقد استخدم المداد الأحمر بوفرة وحناء في البعض ، وبقلة وتقتصر في البعض
الآخر . هذا ، وقليل منها غير معلم باللون الأحمر (١٠) ، وعدد أقل استخدم
المداد الأزرق والأخضر في كتابة بعض عناوينه (١١) .

- (١) أنظر مخطوطة رقم ٢١ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وقارنها
حوالي القرن الحادي عشر . أنظر أيضاً لوحة رقم ٢ .
- (٢) أنظر مخطوطات سيناء العربية أرقام ١٧ و ٢٢ و ٣٣ .
- (٣) أنظر مخطوطة رقم ٢٠ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وقارنها
حوالي القرن الثالث عشر ، ومخطوطة رقم ٢٤ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح»
وقارنها هي الأخرى حوالي القرن الثالث عشر . أنظر أيضاً لوحة رقم ٧ .
- (٤) أنظر المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٣٨ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ .
- (٥) أنظر المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢٨ و ٢٩ و ٣١ .
- (٦) أنظر مخطوطة رقم ٣٥ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وقارنها
١٠٣٩/١٦٢٢٩م .
- (٧) أنظر لوحة رقم ١ .
- (٨) فذكر ، على سبيل المثال ، مخطوطة رقم ١ سيناء - عربي ، وموضوعها «العهد القديم» ،
وقارنها حوالي القرن التاسع . أنظر أيضاً لوحة رقم ١ .
- (٩) المصاحف المنصوبة كلماتها قليلة للغاية ، فذكر من بينها تلك التي تحمل أرقام ١٠٣
و ٣٠ و ٦٨ (سيناء - عربي) . أنظر لوحة رقم ١ .
- (١٠) مثل مخطوطة رقم ٥ سيناء ، عربي ، ومخطوطة رقم ٣٢ سيناء - عربي .
- (١١) أنظر مخطوطة رقم ١٨٦ سيناء - عربي ، وموضوعها «أورولوجيون» ، وقارنها
حوالي القرن الثالث عشر ، وكاتبها مجهول .

ويلاحظ أيضاً أن عدداً قليلاً جداً من هذه المخطوطات اشترك في كتابة كل منها أكثر من شخص . مثال ذلك مخطوطة رقم ٣٧ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير» ، وتاريخها ١٢٣١ م ، وقد اشترك شخصان في كتابتها ، ويتضح هذا من وجود خطين مختلفين تماماً عن بعضهما . وبالمثل مخطوطة رقم ٥٨ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وتاريخها حوالي القرن الخامس عشر ، وكتابها مجهول . بينما يتضح من تعليقات اضافي ورد في مخطوطة رقم ٨٢ سيناء - عربي ، وموضوعها «الأنجيل الأربعة» ، وتاريخها ١٢٨٧ م ، أنه اشترك في اعدادها ثلاثة أشخاص (١) .

(ثالثاً) أغلفة المخطوطات وأهميتها :

قد يبدو لنوهلة الأول أن أغلفة المخطوطات العربية ليست لها القيمة التي تستوجب الاشارة اليها . والعكس - كما سئرى - هو الصحيح . قليل من هذه المخطوطات أغلفتها مفقودة (٢) ، وعدد أقل مغلف بالورق المقوى أو العادي (٣) ، وعدد لا بأس به مغلف بجلد بني داكن أو فاتح اللون ، وهو محشو - عادة - بورق عادي أو ورق بردي لتقويته (٤) . أما أكثرية مخطوطات المجموعة العربية ، فغلافها خشبي مكسو بجلد أسود أو بني يتميز بلونه الداكن أو الفاتح أو الياهت (٥) .

(١) أنظر مخطوطة رقم ٨٢ سيناء - عربي - ورقة ٢٠٦ ب . راجع أيضاً المخطوطات أرقام ٢١٢ و ٢٢٨ و ٢٣٤ و ٢٣٥ (سيناء - عربي) .

(٢) مثل المخطوطات أرقام ٥ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤١ (سيناء - عربي) .

(٣) مثل مخطوطة رقم ١٦ سيناء - عربي ، وهي مغلفة بورق تانف أقدم عهد من ورق المخطوطات ، والمخطوطة رقم ٣٧ وهي مغلفة بورق مقوى يتألف من صحائف تديمة بالية .

(٤) أنظر مثلاً المخطوطات التي تحمل أرقام ٣ و ٧ و ١٤ و ١٦ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٦ و ٤٢ . هذا والمخطوطة رقم ٢٧ مغلفة بجلد بني محشو بورق عادي وورق بردي طليد كتابات تحتاج إلى فحص ودراية .

(٥) هناك مخطوطة واحدة غلافها خشبي مكسو برق مميك هي المخطوطة رقم ٢١ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وتاريخها حوالي القرن الحادي عشر .

وجدير بالذكر أن بعض هذه الأغلفة مزينة بقوش بارزة أو محبة ، وبعضها مرصع بحليات في الأركان والوسط ، أو باطارات وأفاريز بديعة الشكل يبدو فيها الأثر العربي واضحاً . وقد يتوسط الغلاف رسم على شكل صليب أو صليب من النحاس وعليه المسيح مصلوباً^(١) . ولعل أحمل هذه الأغلفة غلاف المخطوطة رقم ٧٦ صيناء - عربي ، وموضوعها «الأنجيل الأربعة» ، وتاريخها القرن الثالث عشر ، وكاتبها مجهول . وهي مجلدة تجليداً فاخراً ، وغلافها نحشي مكو مجلد بنى ، وجانبه الأيمن مرصع بحليات في الأركان والوسط ، أما الجانب الأيسر فهو الآخر مرصع عند أركانه الأربعة ، ومزين في الوسط بصليب نحاسي عليه المسيح مصلوباً ، وعن يمينه السيدة العذراء ، وعن يساره القديس يوحنا . وبأعلى الغلاف دائرتان نحاسيتان مطروقتان مع رسمين يمثلان النسر والثور ، وهما يرمزان إلى الرسولين يوحنا ولوقا . وفي الغلاف من أسفل دائرتان نحاسيتان أخريتان بلتاخليهما رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل ، وتحيط بكل هذا التشكيل شرائط من ست قطع نحاسية تكون اطراً على رسوم تمثل أوراقاً نباتية . كما استخدمت في ربط المخطوط أشرطة من النكتان الأحمر وخيط ذهبي ومشابك . وعندما يكون المخطوط مغلقاً تكشف حواف الأوراق من جوانبه الثلاثة عن ثمان زخارف على شكل صلبان من أحجام مختلفة تتقاطع معها ثلاثة رسوم على الطراز العربي . وقد استخدمت في تلوين المجموعة كلها الألوان الأحمر والذهبي والأسود^(٢) . ويهنا هنا أن نبرز أن هذه النقوش تكشف عن بعض عناصر فنية ذات تأثيرات عربية واضحة المعالم .

وبفحص هذه الأغلفة يتضح أنه كانت توجد في عدد كبير منها

(١) نجد نماذج هذه الأغلفة المزينة في المخطوطات أرقام ٣ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ .

١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ .

(٢) الأغلفة التي من هذا النوع قليلة في المجموعة العربية ، ولكنكم كثيرة أتجد في المجموعة اليونانية التي يحتفظ بها دير .

أشرطة جلدية ومشابك معدنية ومسامير ذات رموس كبيرة وأقفال لإحكام غلقها ، وقد فقد معظمها (١) .

وجدير بالملاحظة أن بعض أغلفة المجموعة العربية أصابها البليان ، وتم ترميمها وتقويتها . وقد استخدمت بعض مخطوطات الدير القديمة لحشو هذه المصاحف العربية البالية وتبطينها . مثال ذلك مخطوطة رقم ٢٥ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتساويح» ، وتاريخها سنة ١٢٥٩ م ، لها غلاف خشبي مكسو بجلد بنى داكن والجانب الأيسر منه مغطى بورقة أقدم عهداً من ورق المخطوط وعليها كتابة بالعربية . كما أن الأوراق الثلاث الأولى منه ترجع إلى عصر أقدم من ورق المخطوط ، مدون عليها بعض المزامير من جلد آخر يرجع أنه استخدم لحشو وتبطين أغلفة المخطوطات القديمة البالية . وهذه - للأسف - ظاهرة واضحة أدت إلى ضياع الكثير من المخطوطات العتيقة المبكرة التي كان الدير يحفظها .

وما يقال عن هذه المخطوطة يقال أيضاً عن المخطوطة رقم ٣٧ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير» ، وتاريخها سنة ١٢٣١ م . وتألّف غلافها من صحائف قديمة من الورق عليها كتابات بعضها باللغة القبطية وبعضها الآخر باللغتين القبطية والعربية ، والبعض بالعربية فقط . وتحتوي هذه الكتابات في معظمها على صلوات ومزامير . ومحتويات هذا الغلاف لها أهمية خاصة ، ويجب معالجتها بعناية ورفق والعمل على صيانتها وحفظها . وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على أن الدير كان يحتفظ بنسخ خطية قبطية للأناجيل ترجع إلى فترة تاريخية مبكرة ، وأنها قد استخدمت في عمليات الحشو

(١) المخطوطة رقم ١٢٦ سيناء - عربي ، وموضوعها «قرارات من الأناجيل لأعياد السنة» ، وتاريخها سنة ١٦٦٨ م ، وكتبتها الراهب غورى اليانس ، لم يبق مع غلافها سوى المسامير الكبيرة المبرشمة فحسب ، أما الأشرطة والمشابك والأقفال فقد فقدت كلها . أما المخطوطة رقم ١٤٩ سيناء - عربي ، وعنوانها «قرارات من الرسائل» وتاريخها حوالي القرن الثالث عشر ، وكتبتها يوحنا الكفوري ، فلم يبق مع غلافها سوى شريط واحد ومسامير برأس كبيرة .

والخلاصة أن هذه التكوينات الزخرفية في المصاحف العربية المصورة ،
تؤلف أشكالاً هندسية في غاية الروعة والجمال ، من مسدسات ومربعات
ومثلثات ودوائر وخطوط متداخلة ، إلى زخارف نباتية خيالية ، إلى توريقات
أهم عناصرها الفروع النباتية المنحنية والمراوح النخيلية ، إلى أفاريز توامها
حشوات صغيرة مملوءة بالتوريقات ، إلى رسوم مختلفة تصور مناظر دينية .
فتشاهد ، مثلاً ، رشحاً على شكل صليب ، أو قديماً على رأسه هالة ،
أو رشحاً يمثل المسيح وحواله الملائكة والتديبين . ويؤكد عنصر الزخرفة
وأسلوب تمثيل الأشخاص في هذه المجموعة النادرة من المصاحف العربية
المسيحية ، وجود الأثر العربي بشكل جلي فيها (١) .

وكون بعض المصاحف العربية المحفوظة بالدير تحمل بين ثناياها نقوشاً
وزخارف تضم بعض العناصر الفنية ذات التأثيرات العربية في معظمها
أو البيزنطية أو القبطية في قليل منها - لم أمر يحتاج إلى دراسة جادة دائمة
قد تحيط اللثام عن جوانب في تاريخ العصر الوسيط وحضارته لا يزال
يعتورها الغموض والإهام . ومما يذكر أنه لا تتمتع بهذه الميزة مصاحف
المجموعة الخطية العربية وحدها ، إنما نجد هذه التأثيرات العربية واضحة
في مجموعة مباني الدير وفي منحته وأيقوناته كذلك (٢) .

(١) لا يزال هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث ، وبمعنى أن يكون أساس
لدراسة مفيدة تتميز بالجدية والأصالة .
(٢) أنظر عن ذلك مقال الدكتور السيد عبد العزيز سالم : الآثار الإسلامية في دير سانت
كاترين بطور سيناء - مجلة العلوم - العدد الأول (كانون الثاني / يناير ١٩٦٥) - بيروت
١٩٦٥ - ص ٦ - ٨ .

ويرى الأستاذ أحمد محمد عيسى أن كثيراً من المخطوطات اليونانية التي يحتفظ بها الدير يزدان
أيضاً برسوم ذات طابع إسلامي يستلج الباحث عن طريقها تحديد العصر الذي كتب فيه المخطوط .
ويرى أيضاً أن هذه الظاهرة تستحق العناية والدرس لأهميتها بالنسبة للعلاقات الفنية المتبادلة بين
فنون الشرق الأدنى وتأثير كل منها على الآخر . ويرجح أن يكون مزخرفو هذه المخطوطات
من المسلمين الذين قنصوا هذا العمل لرهبان ، أو أن تكون هذه الرسوم من صناعة مزوقين
مسيحيين عملوا في هذا الفن لحساب المسيحيين والمسلمين على السواء . انظر أحمد عيسى : مخطوطات
روثاق دير سانت كاترين - ص ١٠٧ .

(خامساً) القلوفونات أو الخواتيم :

تكاد كل مخطوطة من مخطوطات المجموعة العربية تنهين بقلوفون بقلم الكاتب . والقلوفون هو الخاتمة التي تأخذ - عادة - شكل مثلث قاعدته إلى أعلا ورأسه إلى أسفل ، وقد تأخذ الشكل المألوف في الكتابة . وتلقى تلك القلوفونات أو الخواتيم الضوء على قصة الدير التي لا نعرف عنها الكثير ، وعلى تنظيمه الإداري والديني على مر العصور . كما تمدنا بسجل حي متحرك لكثير من التفاصيل الهامة المتعلقة بالحوادث العامة أو المحلية في فترات عديدة . وهناك كثير من مخطوطات المجموعة العربية يحتوي كل منها على أكثر من موضوع ، قد ينتهي كل موضوع بخاتمة خاصة به (١) .

ويرجع الفضل إلى هذه القلوفونات في تحديد تاريخ عدد كبير من مصاحف المجموعة العربية (٢) ، وفي التعرف على أسماء كتابها (٣) أو

(١) ينظر أن يكون القلوفون في غير موضعه الطبيعي بأخر المخطوط . مثال ذلك مخطوط رقم ٢٢٧ سيناء - عربي ، وموضوعه « ليتورجيا » ، وتاريخه حوالي القرن الثالث عشر ، وكتابه يدعى القلوفون ، وقد عثر على القلوفون باسم كاتب المخطوط محشوراً في الورقة رقم ٥٠ ب .

(٢) أنظر ، مثلا ، القلوفون المراد في ورقة ٢٤٦ ب في المخطوطة رقم ٢ سيناء - عربي ؛ ورقة ١٣٦ أ - ب في المخطوطة رقم ١٢ سيناء - عربي ؛ ورقة ٢٤٨ أ في المخطوطة رقم ١٨ سيناء - عربي ؛ ورقة ٢٢١ ب في المخطوطة رقم ٢٨ سيناء - عربي ؛ ورقة ١٩٢ ب في المخطوطة رقم ٣٤ سيناء - عربي ؛ ورقة ٢٦ ب في المخطوطة رقم ٣٧ سيناء - عربي ؛ ورقة ٣٥٥ أ في المخطوطة رقم ٤٠ سيناء - عربي ؛ ورقة ٣٥٥ أ في المخطوطة رقم ٤٩ سيناء - عربي ؛ وهكذا . فهي وغيرها تحدد نوبدا تطلعا لتاريخ كتابة المخطوط أو لتاريخ الفراغ من تدوينه .

(٣) أنظر - مثلا - المخطوطات العربية بيمينه أرقام ٢ (ورقة ٢٢٠ ب - ١٢٣١ أ) ، ٤ (ورقة ١٢٨٦ أ) ، ١٢ (ورقة ١٣٦ أ - ب) ، ٢٤ (ورقة ١٦٧ أ) ، ٣٥ (ورقة ١٧٧ أ) ، ٤٠ (ورقة ٢٥٥ أ) ، ٤٩ (ورقة ٢١٤ ب) ، ٥٠ (ورقة ١٢٣ أ) ، وهكذا .

مترجمها (١) . ولما كان الجانب الأكبر من مصاحف هذه المجموعة يتناول شتى مراحل الثقافة المسيحية من القرن التاسع حتى أواخر العصر الوسيط وبعد ذلك ، فقد حرص كتابها أو مترجموها أو ناقلوها على عدم الإشارة إلى أسماءهم صراحة تقريباً إلى الله ورغبة في الحصول على رضائه ، خاصة وأن معظم هؤلاء كانوا من رجال الدين من رهبان وكهنة وقساوسة وشمامسة وغيرهم ، ممن لا يبغون صيناً أو شهرة دنيوية زائلة هم في غنى عنها . وعلى هذا ، فإن ورود أسماء أولئك الكتاب والنقلة والمترجمين عرضاً في ثنايا التلوفونات ، يعتبر أمراً لا يمكن التقليل من أهميته . ولما كان التلوفون يتضمن - عادة - تاريخ المخطوط واسم كاتبه أو مترجمه ، فقد ساعد ذلك على تحديد الزمن الذي عاش فيه الكاتب أو المترجم مما يعين على التعرف على سيرته وأخباره .

وفضلاً عما تقدم ، تكشف تلك التلوفونات عن مصادر المصاحف العربية وأصولها . فنعرف منها - مثلاً - أن أصل المخطوطة رقم ٣ سيناء - عربي من دمشق ، وموضوعها «العهد القديم» وتاريخها سنة ١٣٥٨ م ، وكاتبها يدعى يوسف بن صباط الأمدى السرياني (٢) ؛ وأن المخطوطة رقم ٢٨ سيناء - عربي ، وموضوعها «مزامير وتساويح» وتاريخها سنة ١٢٦٩ م ، وكاتبها مجهول مصدرها دير سيناء (٣) ؛ وأن المخطوطة رقم ٣٤ سيناء -

(١) انظر ، حل سبيل المثال ، المخطوطة رقم ١٠ سيناء - عربي ، وموضوعها «العهد القديم» وتاريخها ١٢٣٣ - ١٢٣٤ م ، بحيث جاء في أوراق ٥٦ ب و ١٢٨ ب و ١٧٠ ب ، أن مترجمها يدعى المرحوم بن ستان ؛ وكذلك المخطوطة رقم ٣٤ سيناء - عربي وموضوعها «مزامير» وتاريخها ١٢٨٢ م وقد جاء في ورقة ١٩٢ ب أن الذي قام بترجمتها من اليونانية إلى العربية هو عبد الله بن الفضل بن عبد الله الأنطاكي ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٢٥٢ سيناء - عربي وموضوعها «كتب كنيسة لخدمة القديس» وتاريخها سنة ١٠١٠ م ومترجمها يدعى عيسى بن اسحق الحنصلي (ورقة ١٩٢ ب) ، وهكذا .

(٢) انظر المخطوطة رقم ٣ سيناء - عربي - ورقة ٣٣٠ ب - ٣٣١ أ .

(٣) انظر المخطوطة رقم ٢٨ سيناء - عربي - ورقة ٢٢١ ب .

عربي وموضوعها «مزامير» وتاريخها سنة ١٢٨٢ م ومترجمها عبد الله بن فضل ابن عبد الله مصدرها عكا (١) ؛ وأن المخطوطة رقم ٤٠ سيناء - عربي وموضوعها «مزامير وتسايح» وتاريخها سنة ١١٦٧ م وكاتبها الراهب يوحنا بن صهيون الشيزي ، كتبت بدير انقليس مارسابا في مدينة بيت المقدس (٢) ؛ وأن المخطوطة رقم ١٦٧ وموضوعها «رسائل بولس» وتاريخها سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٥ م وكاتبها هو الشماس يوحنا بن مهذب بن الشيخ مصدرها قبطي (٣) ، وهكذا .

وثمة ميزة أخرى لتلك القلوفونات ، هي أنها تكشف عن أسماء بعض رؤساء دير سيناء في الحقبة الوسيطة من التاريخ . ولذلك أهمية خاصة ، ذلك أن الدير لا يحتفظ بسير وتراجم رؤسائه الذين تولوا ادارته خلال تلك الفترة من الزمن ، أو حتى بقوائم بأسمائهم . ولا نكاد نعرف عنهم وعن سيرهم شيئاً . وعلى هذا فإن ورود اسم أي أسقف ممن تولوا شؤون الدير في تاريخ معين ، يعنى الشيء الكثير . هذا ، وبالتعاون بين الدارسين في مجموعة أيقونات الدير وفي ثاقفه ومخطوطاته العربية والأجنبية ، يمكن أعداد ثبت أقرب ما يكون إلى الكمال بأسماء رؤساء الدير في العصر الوسيط . وتودى القلوفونات العربية خلعة كبرى في هذا المجال .

على أية حال ، نضرب مثلاً بالمخطوط رقم ٦١ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزامير وتسايح» ، وتاريخه سنة ١٦٤١ م ، وكاتبه يدعى الشماس سياون الحمصي . فقد جاء في القلوفون الخاص به أنه كتب بدير سيناء أيام رئاسة الأسقف كبير يواصف أسقف الدير (٤) . وهذا يعنى أن الأسقف المذكور كان رئيساً على الدير عام ١٦٤١ م . ونعرف أيضاً

(١) أنظر المخطوط رقم ٢٤ سيناء - عربي - ورقة ١٩٢ ب .

(٢) أنظر المخطوط رقم ٤٠ سيناء - عربي - ورقة ٣٥٥ أ .

(٣) أنظر المخطوط رقم ١٦٧ سيناء - عربي - ورقة ١٣٢ أ - ب و ١٣٢ ب .

أنظر أيضاً المخطوط رقم ١٠١ سيناء - عربي ، والمخطوط رقم ١٠٧ سيناء - عربي .

(٤) أنظر المخطوط رقم ٦١ سيناء - عربي ، ورقة ١٠٩ ب .

من المخطوط رقم ٨١ سيناء - عربي ، وموضوعه «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٣٢٣ م ، وكاتبه مجهول ، أن أسقف الدير حينذاك كان يدعى جرمانوس (١) ؛ ومن المخطوط رقم ٨٢ سيناء - عربي وموضوعه أيضاً «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٢٨٧ م ، نعرف أن رئيس الدير في ذلك التاريخ هو أنيا أرسانيوس (٢) ؛ ويعزز ذلك المخطوط رقم ١١٠ سيناء - عربي وموضوعه «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٢٨٦ م . إذ جاء في القلوفون الخاص به أن أسقف الدير وقت تدوينه هو أنيا أرسانيوس السالف الإشارة إليه في خاتمة المخطوط رقم ٨٢ (٣) ، وهكذا .

(سادساً) التقويم أو التاريخ :

وفضلاً عما تقدم ، فإن كثيراً من هذه القلوفونات تتميز بأهميتها البالغة؛ إذ تعدد مختلف التقويم من آدم إلى التقويم الاسلامي الهجري . وتشكل جميع هذه التقويم عناصر هامة للدراسة خصبة لموضوعات نادرة .

ولزيادة الايضاح نقول ان القلوفونات المذكورة تكشف عن أنواع عديدة من التاريخ ، منها تاريخ العالم المعروف بتاريخ آدم ، وتاريخ الاسكندر اليوناني ، والتقويم الميلادي اللاتيني المعروف بالتقويم الجريجورياني ، والتاريخ القبطي المعروف بتقويم الشهداء أو تقويم دقلديانوس ، والتقويم الهجري . وتاريخ العالم مشكوك في صحته لسعة الفوارق بين ما أرخه كل من اليهود والنصارى . أما تاريخ الاسكندر فهو المبني على الأشهر اليونانية ، ويعرف أيضاً بتاريخ السلوقيين ، ويبدأ من دخول سلوكس Selucus مدينة بابل بعد وفاة الاسكندر المقدوني بالثني عشر سنة ، وقد أخذ به السريان واليهود ويعرف عندهم بتاريخ العمود . أما تاريخ الشهداء فهو يبدأ بالسنة الأولى من حكم الامبراطور الروماني دقلديانوس الموافقة ٢٨٤ م أو ٥٩٦

(١) أنظر مخطوط رقم ٨١ سيناء - عربي ، ورقة ١٨٢ .

(٢) أنظر مخطوط رقم ٨٢ سيناء - عربي ، ورقة ٢٠٦ أ - ب .

(٣) أنظر مخطوط رقم ١١٠ سيناء - عربي ، ورقة ١٩٨ .

من تاريخ الاسكندر . وهذا التأريخ هو الذى اعتمد عليه قبط مصر حتى يومنا هذا . وعلى هذا يكون الفارق بين التقويم القبطى والتقويم الميلادى الغربى هو ٢٨٤ سنة . أما التقويم الميلادى فهو المعروف بالتقويم الجريجورى أو الجريجورى المعمول به حالياً فى الغرب . وأخيراً هناك التقويم المجرى ، وهو يحسب من السنة التى هاجر فيها الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة وهى سنة ٦٢١ م ، ويسر هذا التقويم حسب الأشهر القمرية حيث تنقص مدة السنة ١١ يوماً تقريباً عن السنة الشمسية (١) .

وهناك قاعدة متبعة لتحويل كل سنة من أى تقويم من التقاويم المشار إليها إلى الأخرى من تقويم آخر . فمثلاً لتحويل تاريخ آدم إلى الميلادى يستنزل منه ٥٥٠٨ سنة ، ولتحويل التاريخ القبطى إلى الميلادى يضاف إليه ٢٨٤ سنة ، ولتحويل السنة الميلادية إلى سنة هجرية يستنزل منها ٦٢٢ سنة (٢) ، وهكذا .

وإذا قمنا بمجولة بين مصاحف المجموعة الخطية العربية التى بها قلوبونات مؤرخة ، نجد ما يشفى الغلة فى هذه الناحية الهامة . فثمة مخطوطات تتضمن قلوبونات بتاريخ كتابتها بأحد هذه التقاويم أو بأكثر من تقويم فى ذات الوقت . منها على سبيل المثال قلوبونات التأريخ الواردة بها من «سنين العالم» أو «الحليقة» فقط . مثال ذلك مخطوط رقم ١٨ سيناء - عربى ، وموضوعه «النبوات» ، وكتابه القس افرام من سيناء . وقد جاء فى القلوبون الخاص به

(١) أنظر فى موضوع التقاويم وتحويل التواريخ المراجع التالية :

Mahler, E., Wüstenfeld-Mahler'sche Vergleichungs — Tabellen der mohammedanischen und christlichen Zeitrechnung, Leipzig, 1926; Haig, W., Comparative Tables of Muhammadan and Christian Dates, London, 1932.

محمد مختار : كتاب التوقيفات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الانفرنكية والتقطبية - القاهرة (بولاق) ١٣١١ هـ . أنظر أيضاً بروفسال (د .) : التأريخ - مقال بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) - المجلد الرابع ٤ جيب (٥ .) : التأريخ - مقال بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) - المجلد الرابع ٤ هرنشو (ف .) : علم التاريخ - ترجمة عبد الحميد العبادى - القاهرة ١٩٣٧ .

(٢) وذلك بعد استبعاد الكسور بطبيعة الحال. وتفيد القلوبونات الواردة فى حده من مصاحف المجموعة العربية فى الكشف عن هذه العمليات الحسابية .

أنه كمل الفراغ من المخطوط سنة ٦٨٥٨ لآدم (١) ، وتحويلها إلى الميلادى تصيح سنة ١٣٥٠ م . وفي مخطوط رقم ٤١ سيناء - عربى ، وموضوعه «مزامير وتسايح» ، وكاتبه الراهب يوحنا صهيون الشيزرى ، قلفون بنجازه سنة ٦٦٧٥ لآدم (٢) ، أى سنة ١١٦٧ م . أما المخطوط رقم ٣٧ سيناء - عربى ، وموضوعه «مزامير» . وكاتبه يدعى محاسن العرب ابن يعقوب بن حباب الماردى ، فقد جاء فى القلفون الخاص به أن الفراغ من كتابته كان فى سنة ١٥٤٣ من الاسكندر اليونانى (٣) التى توافق سنة ١٢٣١ م . والقلفون الوارد بالمخطوط رقم ٤٢ سيناء - عربى ، وموضوعه «مزامير وتسايح» ، وكاتبه ميخائيل بطرس السكندرى ، يحدد تاريخ كتابة المصحف بالتقويم الميلادى فقط ، وهو سنة ١٧٩٠ م (٤) . بينما نجد فى المخطوط رقم ٤ سيناء - عربى ، وموضوعه «العهد القديم» ، وكاتبه يدعى جبريل بن موسى ، قلفون بتاريخه بالهجري فحسب ، وهو سنة ٣٥٣ هـ (٥) التى توافق سنة ٩٦٣ م .

وإذا كان بعض الكتاب قد استعملوا تقريباً واحداً سواء أكان هجرياً أم ميلادياً أم يونانياً أم من سنى العالم ، فهناك مصاحف جاءت بها قلفونات متضمنة تاريخ إنجازها والفراغ من كتابتها بأكثر من تقويم فى آن واحد . مثال ذلك مخطوط رقم ٣ سيناء - عربى ، وموضوعه «العهد القديم» ، وكاتبه يوسف بن سباط الأمدى السريانى ، وبه قلفون بتاريخ كتابته بثلاثة تقاويم هى تقويم الاسكندر وتقويم آدم والتقويم الهجرى ، وهذا التاريخ هو سنة ١٦٧٠ للاسكندر التى توافق سنة ٦٨٦٨ لسنى آدم التى توافق

- (١) مخطوط رقم ١٨ سيناء - عربى ، ورقة ٢٤٨ أ .
- (٢) انظر مخطوط رقم ٤٠ سيناء - عربى ، ورقة ٣٥٥ أ . راجع أيضاً المخطوطات أرقام ٢٥ و ٢٨ و ٢٩ (سيناء - عربى) .
- (٣) مخطوط رقم ٣٧ سيناء - عربى ، ورقة ٢٦ ب .
- (٤) مخطوط رقم ٤٢ سيناء - عربى ، ورقة ١٧٢ ب .
- (٥) مخطوط رقم ٤ سيناء - عربى ، ورقة ٢٨١ أ . انظر أيضاً مخطوط رقم ٣٠ سيناء - عربى (ورقة ١٩٠ أ) وتاريخه سنة ٣٦٧ هـ التى توافق سنة ٩٧٧ م .

سنة ١٣٥٨ للمسيح (١) . ونجد تاريخ المخطوط رقم ٣٤ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزاميره بكل من تقويم آدم والتقويم الهجري ، إذ جاء في خاتمته أن الفراغ منه كان سنة ٦٧٩٠ لكون العالم التي توافق سنة ٦٨٠ هـ (٢) ، أي سنة ١٢٨٢ م .

ويتبع تاريخ المخطوط بأكثر من تقويم الفرصة أمام الباحثين للمقارنة العلمية الدقيقة بين هذه التأريخ المختلفة للتأكد من صحة تاريخ الترمين . ويحدث أحياناً أن نجد اختلافات عند تحويل هذه التواريخ بحيث تكون غير مطابقة لبعضها ، ونقف حائرين أمام أيها أقرب إلى الصحة . ومثل هذه الحالات - وهي على أية حال قليلة في المجموعة العربية - تحتاج إلى محاولات اجتهدية من قبل المعينين بمثل هذه الأمور .

(سابقاً) التعليقات الإضافية :

وإذا كان المؤلفون جزءاً ختامياً أصيلاً من المخطوط وبقلم كاتبه أو مترجمه أو ناقله أو ناخه ، فالتعليقات هي إضافات ضخيلة بقلم كاتب وقراء آخرين في فترات أخرى لاحقة ، ومخطوط تختلف عن المخطوط المستخلصة في النصوص الأصلية . ويمكن تصنيف التعليقات التي أمكن العثور عليها في مصاحف المجموعة العربية على الوجه التالي :

(١) تعليقات مؤرخة تكشف عن أسماء أساقفة دير سيناء الذي لم يحتفظ لنا الدير بياناً بهم ويسيرهم . مثال ذلك مخطوط رقم ٢ سيناء - عربي ، وموضوعه «العهد القديم» وتاريخه سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م . وفيه تعليق بقلم شخص يدعى «صلمون المسما استقف جبل الله المقدس طور سيناء» يفيد شراء المخطوط المذكور من دمشق ، وتاريخ التعليق سنة ٣٧٢ هـ

(١) مخطوط رقم ٢ سيناء - عربي ، ورقة ٢٢٠ ب - ٢٣١ أ وكذلك ورقة ٢٧٢ ب .

(٢) مخطوط رقم ٣٤ سيناء - عربي ، ورقة ١٩٢ ب . راجع أيضاً، على سبيل المثال،

المخطوطات رقم ٢٥ و ٤٤ و ٤٥ (سيناء - عربي) .

التي توافق ٩٨٢ - ٩٨٣ م (١) . ونفهم من ذلك أن رئيس الدير في أواخر القرن العاشر كان يدعى صلحون . وقد تتضمن مثل هذه التعليقات معلومات لا بأس بها عن رؤساء الدير تلقى المزيد من الضوء على تاريخ ادارتهم له .

(ب) تعليقات تنيد وقف المخطوطات على دير سيناء . والمجموعة العربية غنية بمثل هذه الوقفيات (٢) . مثال ذلك مخطوط رقم ٣٥ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزامير وتاييح» ، وتاريخه سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م ، وكاتبه يدعى ويوحنا ابن شماس عيسى عويسات من خدام كنيسة دمشق الشام ، وبه تعليق يفيد أن المصحف موقوف على دير طورسينا . ونص الوقف كالآتي :

«وكب برسم الأخ بالله المدعو بالاسم الرهباني يواصف ابن عبد العزيز ابن تمام من أعيان دمشق الشام ويرميذا لابس الثوب الملايكي بدير طورسينا المقدس وكتبه ليقرأ فيه مدة أيام حياته ومن بعد عينه يكون وقفا موبدا على دير طورسينا وكل من غيره عن الوقفية المذكورة أو بذله أو غيره أو أرهته أو أسرهنه أو باعه أو اشتراه كائنا من كان يكون محروم مفروز من مجد الله ومن السجدة مجامع المتلعة المسكونية ومن كل ما هو محق ويكون ما موسى والس كاترينا خصمه والعباد بالله ...» (٣) .

(١) المخطوط رقم ٢ سيناء - عربي ، ورقة ا ب . ونجد أشلة أخرى عديدة لتعليقات مؤرخة وردت بها أسماء أساقفة الدير ، في المخطوطات أرقام ٧٧ و ٧٩ و ٩٧ (سيناء - عربي) .

(٢) أنظر لوحة رقم ٢ .

(٣) أنظر مخطوط رقم ٣٥ سيناء - عربي ، ورقة ١٧٩ ب . ويلاحظنا هذا النص تكررة طيبة من تطور الإملاء ، والكتابة العربية يصح أن تكون موضوع دراسة مستقلة .

(ج) تعليقات تكشف عن مصادر بعض المخطوطات وأصولها. مثال ذلك المخطوط رقم ٣ سيناء - عربي ، وموضوعه «العهد القديم» وتاريخه سنة ١٣٥٨ م ، وبه تعليق على ورقة ١٢ يحدد مصلره ، ونص التعليق :

«صار من عوادي الزمان في نوبة العبد الفقير إلى الله تعالى عيسى بن سعيد الطيب بمدينة الشام نعمة الله (١) .

ومن ذلك نعرف أن أصل المخطوط من بلاد الشام .

(د) تعليقات بقلم قراء تفيد اطلاعهم على مصاحف المجموعة العربية ، وهي زاخرة بمثل هذه القراءات . وبعض التعليقات المذكورة مؤرخ والبعض الآخر بدون تاريخ . وهي تعينا أحيانا على تحديد التواريخ التقريرية للمخطوطات الحالية من القلوفونات والغير معروف تاريخها . فضلا عما تتضمنه من معلومات وأخبار نافعة . نضرب مثلا بالمخطوط رقم ٤٨ سيناء - عربي ، وموضوعه «مزامير وتساويح» ، وكتابه مجهول ، وتاريخه غير معروف . ولكن أمكن تحديد التاريخ على وجه التقريب من تعليق مؤرخ يفيد اطلاع أحد القراء عليه (٢) . وبناء على ذلك أمكن تحديد تاريخ المخطوط بحوالي القرن الثالث عشر الميلادي .

(هـ) تعليقات تفيد شراء المخطوطات أو اقتنائها ، وهي تتضمن عادة - اسم المشتري وتاريخ الشراء . مثال ذلك مخطوط

(١) أنظر أيضا ورقة ٣٣٠ ب - ٣٣١ أ من المصحف المذكور .

(٢) مخطوط رقم ٤٨ سيناء - عربي ، ورقة ٢٠٦ ب . راجع ، حل سبيل المثال ، المخطوط رقم ١٣ سيناء - عربي ، ورقة ١٢٤ ب . والمجموعة العربية مابرة هذا النوع من التعليقات .

رقم ١٤ سيناء - عربي ، وموضوعه «النبوات» ، وتاريخه
حوالي القرن الرابع عشر ، وكاتبه مجهول ، وبه تعليق نصه :

«وقد اشترى هذا الكتاب النبوات المبارك بطرس
ولد حنا بولص في ٢٧ شهر نيسان المبارك مسيحية سنة ١٧٥٧
الموافقة للهجرة في ٢٣ شهر شعبان سنة ١١٧٠ . (١) .

(و) تعليقات تناول معلومات عامة ، من أخبار وحوادث وسير
وتراجم ومواليد ووفيات وأحداث ووقائع تاريخية هامة
ووصفات طبية ونبد في الفلسفة والفلك والعلوم ، وما إلى
ذلك . ففى المخطوط رقم ١ سيناء - عربي ، وموضوعه
«العهد القديم» ، وتاريخه حوالي القرن التاسع ، وكاتبه مجهول ،
تعليق تاريخي هام عن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٢) .
والجموعة العربية غنية بهذا النوع من المعلومات . كذلك
تتضمن العديد من الخواشي التي تشتمل على وصفات طبية .
نضرب مثلا لذلك بالمخطوط رقم ٩ سيناء - عربي ، وموضوعه
«العهد القديم» ، وتاريخه القرن الثالث عشر ، وكاتبه مجهول ،
وبه تعليق اضافي يخط يختلف عن الأصل فيه وصفة للملدوغين ،
عبارة عن تعريفة تتضمن عبارات في السحر غير مفهومة (٣) .
وهكذا نجد في تلك التعليقات العديد من الاشارات عن
سلاطين مصر في العصر الاسلامي الوسيط ، وعن فلاسفة
الاغريق القدماء ومؤلفاتهم ، وعن بطاركة الاسكندرية

(١) مخطوط رقم ١٤ سيناء - عربي ، ورقة ١٢١ أ .

(٢) مخطوط رقم ١ سيناء - عربي ، ورقة ١٤٨ ب .

(٣) مخطوط رقم ٩ سيناء - عربي ، ورقة ١ أ . انظر أيضا مخطوطات رقم ٧

سيناء - عربي (ورقة ٧٤ ب - ٧٥ ب) ، ورقم ١٣ سيناء - عربي (ورقة ١١ - ١٢) .

وأخبارهم . ونعثر أحياناً على نبد قيمة في علم الفلك والموسيقى
وما إلى ذلك (١) .

ويلاحظ أن بعض هذه التعليقات قد يكون مدوناً على جانبي الغلاف
المخاص بالخطوط من الداخل . مثال ذلك الملاحظة المكتوبة على غلاف
المخطوط رقم ٧ سيناء - عربي من الداخل ، وموضوعه «أخبار الأيام» ،
وتاريخه حوالي القرن العاشر ، وكاتبه مجهول (٢) . وهناك أخيراً العديد
من التعليقات التي تضمنتها المصاحف العربية الخطية بلغات غير عربية
كالسريانية أو اليونانية ، وهي في الغالب بقلم قراء اطلعوا على هذه المصاحف
وسجلوا ملاحظاتهم وأنتجهم عليها (٣) .

(ثامناً) التأثيرات العربية في المجموعة :

تبدو هذه التأثيرات في أوضح أشكالها في المخطوطات العربية التي تزين
بنقوش ورسوم وزخارف ملونة على هيئة طيور وورود وأزهار وتوريبقات
نباتية ، أو إطارات وأفاريز على النسق العربي . وقد أشرنا إلى ذلك في شيء
من التفصيل عند الحديث عن المصاحف العربية المصورة (٤) .

(١) المخطوط رقم ٢٤١ سيناء - عربي ، وموضوعه « كتب كنيسية لخدمة القديس »
وتاريخه حوالي سنة ١٣٦٥ م وكاتبه مجهول ، به تعليق (ورقة ١٣٦ ب) يتضمن قبلة
كرونيولوجية زمنية بحاجة إلى الأراضى المقدسة . والتعليق بخط يختلف عن الخط المستخدم
في النص الأصل ، وتاريخه سنة ٦٨٧٢ لآدم التي توافقت سنة ١٣٦٥ م .

(٢) مخطوط رقم ٧ سيناء - عربي ، وعنوان الملاحظة المذكورة « خبر عن الخراب
الأول لبيت الله [كذا] » ، وهي بخط باهت يختلف عن الأصل .

(٣) أنظر مخطوط رقم ٣ سيناء - عربي ، وموضوعه « العهد القديم » ، وتاريخه
سنة ١٣٥٨ م (ورقة ٢٧٢ ب و ٢٧٣ أ) ، وكذلك مخطوط رقم ٢١ سيناء - عربي ،
وموضوعه « مزامير وتسايج » ، وتاريخه حوالي القرن الحادي عشر ، وكاتبه مجهول
(أوراق ١ - ٢ و ١٩٦ - ١٩٧) .

(٤) أنظر ما سبق الإشارة إليه في هذا المقال عن المخطوطات العربية المصورة . راجع أيضاً
المخطوطات رقم ٣٢ (ورقة ١٣٢ ب) ، ورقم ١٧١ (ورقة ١ ب) ، ورقم ١٥٤
(أوراق ١ أ و ٨٣ أ و ١٣٥ أ و ٢٢٥ أ) ، وهكذا . أنظر أيضاً لوحة رقم ١ .

كذلك يلاحظ الطابع العربي واضحاً في كثير من المخطوطات العربية المسيحية التي تبدأ بالبسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» بدلا من «بسم الآب والأبن والروح القدس». والأمثلة على ذلك كثيرة. إذ تبدأ أسفار العهد القديم في كل من المخطوطين رقمي ١ و ٢ بالبسملة، وبالمثل تبدأ «رسائل بولس» من العهد الجديد في المخطوط رقم ١٥٧ سيناء - عربي؛ «بسم الله الرحمن الرحيم» (١).

مثال ذلك سفر التكوين في المخطوطة رقم ٢ وموضوعها «العهد القديم»، وتاريخها سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م، وكاتبها مجهول، إذ يبدأ كالآتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم نبتدى بعون الله ونكتب أول سفر من التوراه ان اول ما خلق الله السما والأرض الخ ..» (٢)

وترجع هذه المخطوطات إلى الفترة المبكرة بصفة عامة. فتاريخ المخطوط الأول حوالي القرن التاسع، والثاني سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م، والثالث يرجع إلى القرن العاشر الميلادي. أي أن المخطوطات العربية المسيحية التي تبدأ بالبسملة وينتهي بعضها بشكر الله، ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد، وكانت الفتوحات العربية قد امتدت منذ العقود الأخيرة من القرن السابع وخلال القرن الثامن للميلاد، وذلك كضرورة سياسية وحرية اقتضتها سلامة اللوثة العربية الفتية التاهضة وأمنها، وتأميناً لرسالتها. ودخلت الأملاك الشرقية للدولة البيزنطية في نطاق الدولة العربية، وغدت شبه جزيرة سيناء يديرها تابعة للقيادة العربية وسياستها السمحة المتسامحة. ويلو أن ذلك قد ترك أثره في استهلال المخطوطات العربية المسيحية العتيقة التي يحتفظ بها الدير بالبسملة، وفي تأريخ بعضها بالتقويم الهجري.

(١) مخطوط رقم ١ سيناء - عربي (ورقة ٥٩ ب و ٩٥ أ) ؛ ومخطوط رقم ٢ سيناء - عربي (أوراق ٢ أ و ١٤١ ب و ١٧٩ أ و ٢١٦ ب) ؛ ومخطوط رقم ١٥٧ سيناء - عربي (أوراق ١ أ و ٥ ب و ٢٢ ب و ٢٦ أ).

(٢) أنظر ورقة ١٢ من المخطوط المذكور. أنظر أيضا المخطوط رقم ٣١ سيناء - عربي، وموضوعه "مزايير وتسايع" وتاريخه ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م وكاتبه مجهول (ورقة ٣ ب).

كذلك أطلق على كثير من مخطوطات المجموعة العربية لفظة «مصحف» بدلا من «انجيل» أو «بشارة» أو «سفر». مثال ذلك مخطوط رقم ٦٣ سينا - عربي وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه حوالي القرن الثالث عشر ، وكتابه يدعى الراهب مكارى . إذ استهل كتاب «بستان الرهبان» الوازد في المخطوط المذكور بالآتي :

«بسم الله الخالق الحي الناطق - نبدأ بمعونه الله نكتب
مصحف البستان لان في البستان جميع الأشجار وفي هذا
المصحف جميع الأثمار الروحانية النافعة للتعز (١) .

وهكذا طعمت اللغة العربية بشابها المنطلق، وبرونقها وبهاثها ، وبخصيلتها اللغوية الضخمة ، وأسلوبها الجزل ، وتعبيراتها المنسابة المتدفقة، ومفرداتها الغنية ، مصاحف المجموعة العربية المسيحية بسينا . فهي تزود تلك المصاحف بألفاظ مثل «الله» و «المصطفى» و «فاتحة انجيل كذا» وغيرها ، بالإضافة إلى التعبير العربي السليم . (٢)

(تاسعا) الحالة العامة للمخطوطات :

بعض أهله المصاحف لا يزال بحالة جيدة لم تؤثر فيه عادات الزمن. ومع ذلك فهناك عدد كبير منها أصابه البليان والتآكل والخرق ، كما بليت

(١) أنظر ورقة ٣٠٧ ب من المصحف المذكور . ونجد مثلا آخر في المخطوطة رقم ٦٩ سينا سحرى ، إذ يوجد على جانب المانش الأيسر من ورقة ه ا تعليق بخط نسخي واضح منقذ ومختلج من الأصل يفيد وقف المخطوط عن دير سينا ، ونص الرقبة كالآتي : « هذا المصحف الشريف وقف حل دير سينا ما لاجد سلطان من الله يخرج منه . . . ومن يخالف يكون محروم » . أنظر لوحة رقم ٢ .

(٢) أنظر، على سبيل المثال ، مخطوط رقم ٦٨ سينا - عربي وموضوعه « الأنجيل الأربعة » وتاريخه حوالي القرن الرابع عشر وكتابه مجهول (ورقة ه ب) ، ومخطوط رقم ٨١ في نفس الموضوع وتاريخه سنة ١٣٢٣ م وكتابه مجهول (ورقة ا ه) ؛ ومخطوط رقم ٩٢ سينا - عربي في ذات الموضوع وتاريخه حوالي القرن الثالث عشر وكتابه غير معروف (ورقة ١٠ ب) .

في النصوص الأصلية وفي عصور لاحقة (١) ، وقد يختلف مقاسها عن مقاس المخطوط نفسه .

وأخيراً هناك عدد قليل من المصاحف العربية تبين وجود أوراق ناقصة من داخلها ، وهي إما أن تكون منزوعة منها أو فقدت عند التجليد (٢) . فضلاً عن وجود بعض الأوراق في عدد من هذه المخطوطات في غير أماكنها الطبيعية (٣) . ويمكن الاستدلال على ذلك من التسلسل الرقمي للصحائف أو من تسلسل الكتابة نفسها . ولعل هذا الاضطراب في التسلسل قد حدث أثناء عمليات التجليد .

(عاشراً) نماذج من أهم مخطوطات المجموعة العربية :

يتمتع عدد غير قليل من مصاحف المجموعة العربية بأهمية بالغة . ولا يتسع المجال هنا لتعرض لهذه المصاحف بإسهاب وتفصيل ، وإنما نكتفي بعرض سريع مركز لاثني منها .

١ - مخطوط رقم ١ سبأ - عربي :

موضوعه «العهد القديم» ، ومقاسه ٢٣ × ١٦ سم ، ومكتوب على الرق ، وعدد أوراقه ١٤٨ ، ويتراوح عدد الأسطر في الصفحة ما بين

(١) أنظر ، مثلاً ، مخطوط رقم ١٠ (ورقة ٤) ، ومخطوط رقم ١٣ (الورقتان الأولى والثانية) ، ومخطوط رقم ١٧ (الأوراق الثمانية الأخيرة) ، ومخطوط رقم ٢٣ (ورقة ١٨٧) ، ومخطوط رقم ٢٩ (ورقة ١١٤) ، ومخطوط رقم ٤٦ (ورقتان ٢ - ٣) ، ومخطوط رقم ٤٨ (الأوراق الستة الأولى وورقتان ١٢٥ - ١٢٦ والورقتان الأخيرتان) .

(٢) أنظر مخطوط رقم ٩ الذي توجد به ثمان ورقات مرقعة ومنزوعة به ورقة ٣٤١ ؛ ومخطوط رقم ١٤ الذي تبين وجود أوراق مفقودة منه فيما بين ورقتي ١٢٩ و ١٣٠ ؛ ومخطوط رقم ٣٦ الذي فقدت أوراقه منه فيما بين ورقتي ٢ و ٣ ، وهكذا .

(٣) أنظر مخطوط رقم ١٠ وموضوعه «العهد القديم» ؛ إذ فلاحظ أن الورقة رقم ٣ في غير مكانها الطبيعي من حيث تسلسل الكتابة ، والمفروض أن تكون بعد ورقة رقم ٥ حتى يستقيم المعنى .

٢٣ و ٢٦ سطرًا . وهو ملون بخط كوفي منقط جزئياً بمداد مختلف عن الأصل ، وربما أضيفت النقطة في عصر لاحق للمخطوط . ويلاحظ أن العاوين ورموس الموضوعات معلمة بالمداد الأحمر . وتاريخه حوالى القرن التاسع الميلادى . وهو يحتوى على جزء من سفر أيوب وعلى نبوات ذانبال وأرميا وحزقيال . والحام في الموضوع أن هذه الترجمة العربية الدقيقة الجيدة للمخطوط يمكن أن تكون هي ومثيلاًها من التراجم العتيقة للعهد القديم ، أساساً طيباً لمراجعة التراجم العربية الحديثة المعتمدة التي تحت أيدينا .

وما يقال عن هذا المخطوط يقال أيضاً عن المخطوطين رقمى ٣ و ٤ سيناء - عربى ، وهما في نفس الموضوع . الأول مقاسه ١٧,٥ × ٢٥ سم ، ومكتوب على ورق مزيت ، وعدد أوراقه ٣٧٣ ، وعدد الأسطر في الصفحة ١٦ سطرًا ، والحظ نسخي جيد ، وتاريخه سنة ١٣٥٨ م . والثاني مقاسه ١٦ × ٢٦,٥ سم ، ومكتوب على ورق ، وعدد أوراقه ٢٨١ ، ويتراوح عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ما بين ١٦ و ١٩ سطرًا ، وهو ملون بخط نسخي ردىء ، وتاريخه سنة ٣٥٣ / ٩٦٣ م .

ويلاحظ أن هذين المصحفين يختلف كل منهما عن الآخر ، والاثان بدورهما مختلفان عن المخطوط رقم ١ ، والمصاحف الثلاثة تختلف في أسلوبها وترجمتها ولغتها عن النسخة المطبوعة المعتمدة . وتحتوى مكتبة الدير العديد من أمثال هذه النسخ الخطية العتيقة التي تتميز بأهميتها الفائقة ، وهي اما تراجم جيدة عن أصول قديمة يونانية أو سريانية (١) ، أو نصوص أصلية

(١) أنظر ، مثلا ، مخطوط رقم ٢ سيناء - عربى وموضوعه « العهد القديم » وتاريخه ١٣٥٨ م وكاتبه يوسف بن سباط لإلمدى السريانى ، ويتضح من تطبيق إحصائى به (ورقة ٣٣٠ ب - ١٣٢١) أنه نقل من السريانى والبيرزى إلى العربية ، والمخطوط رقم ٣٠ سيناء - عربى وموضوعه « مزامير وتسابيح » وتاريخه ٩٧٧ م ، وهو عبارة عن ترجمة طيبة تختلف عن التراجم الأخرى للعهد القديم ، والمخطوط رقم ٣٤ سيناء - عربى وموضوعه « مزامير » وتاريخه ١٢٨٢ م ويوضح أن ترجمة العربية مأخوذة عن اليونانية القديمة مع شروح مدونة بمداد الأحمر متداخلة بين الاصحاحات ، والمترجم هو عبدالله بن الفضل بن جدهاق (أنظر ورقة ١٩٢ ا - ب) .

ولست مجرد نسخ منقولة عن غيرها (١). والاعتماد على مثل هذه المصاحف العتيقة يفيد كثيراً في تنقيح وتصويب النسخة العربية المنشورة التي تحت أيدينا (٢).

٢ - مخطوط رقم ٥١٤ سيناء - عربي :

موضوعه «سير قديسين وحواد أخرى متفرقة ذات طابع ديني» ، والورق مقاسان كبير وصغير : الكبير ٢٣×١٥ سم والصغير ١٩×١٢,٥ سم . وهو مكتوب على رق ، وعدد أوراقه ١٧٥ ، ويراوح عدد الأسطر في الصفحة ما بين ٢١ و ٢٧ ، والمخط كوفي متأخر ، وتاريخه حوالي القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادي ، وكاتبه يدعى توما الدلماطي .

وهذا هو المخطوط الذي أطلقت عليه بعثة مكتبة الكونجرس وجامعة الاسكندرية عام ١٩٥٠ اسم «ابن البعثة الذي يقدر بليون دولار» ، ومكتشفه الدكتور عزيز سوريال عطية أحد أعضاء البعثة المذكورة وعمرر المجموعة العربية بها . ولا شك أن بعثة ١٩٥٠ قد توجت عملها بهذا الكثر الثمين (٣) .

(١) أنظر مخطوط رقم ٤٨ سيناء - عربي وموضوعه «مزامير وتسايع» وتاريخه حوالي القرن الثالث عشر . هذا ، وحول موضوع ترجمة الكتاب المقدس في مصر والعراق والشام إلى اللغة العربية ، أنظر مقال الدكتور مراد كامل : الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطروسيينا - مجلة السياسة المصرية - العدد ١١٦ (١٩٦٦) ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) أنظر احمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء - ص ١٠٥ .
(٣) تعرض الدكتور سوريال هذا المصحف للعرب والتفصيل في محاضرة قبة ألقاما بمكتبة الكونجرس بواشنطن عام ١٩٥٦ من بعثة ١٩٥٠ واكتشافاتها ومنجزاتها . وقد أقيم بمكتبة الكونجرس في تلك المناسبة معرض اشتمل على نماذج وعينات من المجموعة العربية من وثائق ومخطوطات . أنظر تفاصيل المعرض وتلخيص المعاصرة في نشرة المجلة « أخبار مصر » "Egypt News, Vol.3, No.7, April 1, 51 (Washington) " .

كذلك ظهر للدكتور سوريال مقال عن المخطوط رقم ٥١٤ سيناء - عربي بعنوان :
Atiya, A. S., "The Codex Arabicus of Mt. Sinai," The Indian Archives, Vol. VII, No. 1 - January - June, 1953, pp 1 - 28 & plates.
والدكتور سوريال في عدد نشر المصحف المذكور نشرًا علميًا محققًا . راجع أيضًا ما ذكره الدكتور مراد كامل عن هذا المصحف الهام في مقاله « الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطروسيينا » ص ٣٤ .

وتعتبر هذه النسخة الخطية فريدة من نوعها في العالم ، إذ أزيلت الكتابة الأصلية من صحائف الرق وكتب موضعها كتابة جديدة ، ولا تزال آثار الحو والازالة باقية حتى اليوم . ونكاد نحس الكتابة السريانية في المخطوط من أوله إلى آخره . كذلك اكتشف في بعض صحائفه أربع طبقات مختلفة من الكتابة في ذات الصحيفة الواحدة ، هي اليوناني القديم والسرياني والكوفي بنوعيه المتقدم والمتأخر (١) .

ويشترك مع المخطوط رقم ٥١٤ في الأهمية المخطوط رقم ٥٨٨ سيناء - عري ، وموضوعه «النبات» أو «البروفيتولوجية» ، ومقاسه ١٧×٢٣ سم ، ويتألف من ٦٩ ورقة على الرق ، ويتراوح عدد الأسطر في الصفحة ما بين ١٩ و ٢١ سطراً ، وتاريخه حوالي القرن العاشر الميلادي ، وكتابه مجهول . وكان هذا المخطوط في الأصل مدوناً بالسريانية ، وقد أزيلت الكتابة السريانية وكتبت فوقها النبات بالعربية ، ويمكن أن نلمس السرياني المالحى بين السطور (٢) .

هذا ، وظاهرة وجود طبقات من الكتابة بعضها فوق بعض في قليل من هذه المصاحف ظاهرة تحتاج إلى دراسة وبحث (٣) . ولعل قلة الرق

(١) أنظر ، مثلا ، أوراق ١٩ ب - ٢٠ او ٢٩ او ٤٢ او ٤٧ ا - ب و ٥١ و ٥٢ ا - ب و ٥٨ ا - ب و ٥٩ ا و ٨٣ ا و ١٣٠ ب و ١٣٥ .
(٢) أنظر أوراق ٣ ب و ٣٣ او ٣٩ ا من المخطوط المذكور . وقد ظهر في مقال بالإنجليزية عن هذا المخطوط صفاته :

Youssef, J.N., "Prophetologion : An Arabic Manuscript in the Library of the Monastery of St. Catherine in Sinai, No. 588—A Survey and Critical Study," Cahiers d'Alexandrie, Série 4, No. 4, 1966, 1—10 & plates.

(٣) يطلق عليها الأستاذ أحمد عيسى اسم (مخطوطات مفصلة) ، ويقول إنه من الأمور المعروفة في العصور السابقة التجاه اليخص إلى غسل المخطوطات وإعادة الكتابة عليها ، ولا يكون ذلك مسورا إلا حين يكون النص القديم مكتوبا على الرق ، تنضل الصحيفة من الجبر القديم لتكون معدة للكتابة عليها من جديد . أنظر أحمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين سيناء ٣ من ١٠٧ . ويلاحظ أن إشارة الأستاذ عيسى الخاصة بالمخطوطات المفصلة إشارة عامة سريعة لا تتضمن أدلة من المجموعة الخطية العربية أو غيرها من مخطوطات الدير .

وندرته وغلوثته في تلك الأزمنة البعيدة هو الذي دفع رجال الدين وغيرهم من الكتاب والنقّلة والمترجمين إلى إعادة استخدام المصاحف العتيقة ، وبخاصة اليونانية والسريانية للكتابة عليها من جديد . وكانت الطريقة المتبعة هي طريقة المحو والازالة ثم الكتابة فوق الطبقة المحاة ، وقد تصل الطبقات في ذات الصحيفة الواحدة إلى ست طبقات فوق بعضها ، يمكن تنجيع آثارها والتعرف على مضمونها . وقد تصحح الصفحة من كثرة المحو والازالة غير صالحة للاستعمال مرة أخرى ، فيتركها الكاتب وعليها آثار الطبقة المحاة دون أن يستخدمها (١) .

فهارس المجموعة العربية :

منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين وضعت عدة فهارس للمجموعة الخطية العربية كلها أو جانب منها . وفيما يلي بيان بهذه الفهارس حسب ترتيب ظهورها .

(أولاً) فهرست مسز مارجريت دنلوب جيبسون Mrs. Margaret

Dunlop Gibson ، الذي ظهر في لندن سنة ١٨٩٤ تحت اسم :

Gibson, M.D., Catalogue of the Arabic Manuscripts-Studia Sinaitica III. London, 1894.

ويلاحظ أن هذا الفهرست يتضمن بعض مخطوطات المجموعة العربية وليس كلها (٢) .

(١) أنظر عن ذلك مراد كامل : الكتوز الخطية بدير سانت كاترين بطورسينا - ص ٣٤ . هذا ، وعدد المخطوطات التي أزيلت الكتابة الأصلية عنها وأعيد الكتابة عليها بالعربية قليل للغاية ، ويمكن حصر هذه المصاحف وإعداد دراسة مستقلة خاصة بها ومحتوياتها التصرف الأصلية للمحاة .

(٢) وردت عنوان بعض المخطوطات في كتالوج مسز جيبسون غير مطابقة لواقع . إذ جاء المخطوط رقم ٤ سيناء - عربي في كتالوج جيبسون (ص ١) تحت اسم (كتب مقالات من سيرة إبراهيم) في حين أن موضوعه الأصل هو (العهد القديم) . وكذلك بالنسبة لمخطوط رقم ٧ سيناء - عربي ، إذ ورد في كتالوج جيبسون تحت اسم (خبر داود الملك) ، بينما موضوعه هو (أخبار الأيام الأول والثاني) ، وهكذا .

(ثانياً) فهرست الدكتور مراد كامل

كلفت وزارة التربية والتعليم (المعارف العمومية سابقاً) الدكتور مراد كامل بعمل فهرست كامل لمخطوطات سيناء . وقد قام سيادته بتقييم المخطوطات إلى مجموعات ؛ وفهرسة كل مجموعة حسب موضوعها . وظهر هذا الفهرست في جزئين في القاهرة سنة ١٩٥١ تحت اسم :

مراد كامل (الدكتور) : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطورسيناء - جزآن - القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥١ .

وهو فهرس عام للمجموعات الخطية باللغات الشرقية والغربية ، بعد استبعاد الفائد والمطبوع منها ، وكذلك الوثائق الخطية العربية والتركية . وقد وردت المجموعة العربية في الجزء الأول منه (١) .

(ثالثاً) فهرست بعثة مكتبة الكونجرس وجامعة الاسكندرية عام ١٩٥٠ ، وقد ظهر في واشنطن سنة ١٩٥٢ تحت العنوان التالي :

Clark, K.W.] Checklist of Manuscripts in St. Catherine's Monastery, Mount Sinai, microfilmed for the Library of Congress, 1950. Washington, 1952.

(١) أنظر مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطورسيناء - ج ١ - ص ١٩ - ٨٢ . ويلاحظ أن الدكتور مراد كامل عندما قام بتحديد عناوين المخطوطات أهتم أساساً بالنصف الثمالية على كل مخطوط أو الموضوع الأول منه . بمعنى أنه إذا تضمن مخطوط ما عدة موضوعات متنوعة قد تصل إلى عشرة أو عشرين موضوعاً ، فالموضوع الأول هو الذي يحمل - في الغالب - اسم المخطوط دون باقي البنود الواردة فيه . مثال ذلك مخطوط رقم ١١ سيناء - ص ١٠ ، وموضوعه (النبوات) . وقارن بينه سنة ١١١٦ م (أنظر مراد كامل : الفهرست - ج ١ - ص ٣٧) . وبالرجوع إلى المخطوط انضح أنه يحوى على تسعة مواضيع مختلفة أرها للنبوات ، ويمثل النبوات مواد أخرى مختلفة تماماً وتتميز بأسميتها في ذات الوقت . وتطبق هذه الملاحظة كذلك على المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢١ ، ٢٢ ، و ٢٣ (أنظر مراد كامل : الفهرست - ج ١ - ص ٢٠) ، وانواقح أنها تتضمن موضوعات أخرى متنوعة إلى جانب (المزامير والتسابيح) ، وهكذا .

وهو يقتصر على المخطوطات التي قامت بعثة ١٩٥٠ بتصويرها بالميكروفيلم فحسب ، بما في ذلك المخطوطات العربية التي صورتها البعثة . والبيانات التي تضمنها هذا القهرست لا تزيد عما ورد في فهرست كل من الدكتور مراد كامل ومسر جيسون .

(رابعاً) فهرست الدكتور عزيز سوريال عطية

وقد طبع في بلتيور سنة ١٩٥٨ تحت اسم :

Atiya, A. S., The Arabic Manuscripts of Mount Sinai-
A Forward by W. Phillips. Baltimore, 1958.

وهو يتضمن فهرست للمخطوطات العربية الموجودة بالدير .

ويلاحظ ، بصفة عامة ، أن البيانات المتعلقة بالمخطوطات العربية التي وردت في الكatalogات الأربعة سائلة الذكر ، بيانات سريعة مقتضبة اقتصرت على ذكر الرقم المكتبي للمخطوط ، وموضوعه مجملاً ، وعدد صفحاته ، ومقاسه ، وتاريخه ، ونوع الورق المستعمل . والواقع أن بيانات كل مخطوط لا تزيد عن سطر واحد . ومع ذلك يجب أن نذكر بأن هذه الجهود الطيبة السابقة تعتبر خطوة في الطريق نحو عمل فهراس تفصيلية كاملة متكاملة للمجموعة الخطية العربية المحفوظة بالدير .

وقد أعد هذه الفهارس بالفعل الدكتور عزيز سوريال عطية باللغة الانجليزية أثناء عمله كحرر للمجموعة العربية خلال بعثة ١٩٥٠ ، وهي تحمل العنوان التالي :

"Atiya, A.S., Catalogue Raisonné of the Mount Sinai Arabic Manuscripts-Complete Analytical Listing of the Arabic Collection preserved in the Monastery of St. Catherine on Mt. Sinai."

ويقوم كاتب هذا المقال بنقله إلى العربية تحت اسم :

«الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سيناء العربية - فهارس كاملة مع دراسة تحليلية للمخطوطات العربية بدير القديسة كاترينه بطورسيناء» .

وسوف نضع في عدة مجلدات مزودة بالصور واللوحات الفنية والخطية (١).

وفي اعتقادي أن هذه الفهارس التفصيلية سوف تحتل المكانة اللائقة بها بين المجموعات البليوجرافية المعاصرة ، لأنها تمثل ، في الواقع ، أول دراسة دقيقة نقدية موضوعية شاملة ومعدة محتويات تلك المجموعة من المخطوطات العربية ذات الشهرة العالمية المحفوظة بدير سانت كاترين . وفي اعتقادي أيضاً أن أعداد هذا العمل الكبير بحيث يكون في متناول كافة الباحثين من المستشرقين والمعينين بالدراسات العربية والمسيحية والتاريخية والفلسفية واللاهوتية في شتى أنحاء العالم - سوف يتيح لكل منهم امكانيات خصبة واسعة في مجالات البحث العلمي . وعنى عن القول أن صلور هذه الفهارس التحليلية يعنى - بالإضافة إلى ما تقدم - تسجيل هذا التراث العربي الثموي الضخم حفظاً له من العبث والضياع داخل بقعة عزيزة عالية من أرض الوطن .

كلمة ختامية :

وختاماً فإن الأفكار التي تناولناها بالعرض والتحليل في هذا المقال ، يصح أن تكون كل فكرة منها مجالاً لدراسة مستفيضة مستقلة قائمة بذاتها تستخدم ناحية من نواحي البحث العلمي أو تسد نقصاً في زاوية من زواياه .

إن مخطوطات ميناء العربية التي تبلغ قرابة السبعمائة ، معين لا ينضب للباحثين في مختلف المجالات بصفة عامة ، وفي تاريخ العصور الوسطى وخصاًرتها بصفة خاصة . ولا شك أن البحث والتنقيب فيها سوف يضيف الكثير إلى العلم والتاريخ ، وسوف يقدم مادة خصبة قيمة قد تغير الكثير من الشائع المألوف عن عدد من الظواهر والحركات التاريخية التي يكتشفها النقص ويشوبها الغموض ، مما يبنيء السبيل للوصول إلى آراء وأفكار وأحكام وقواعد صحيحة ، تثير الطریق أمام الدراسين من طلاب العلم .

(١) لم ينشر الدكتور سوربال فهارسه التحليلية هذه بالانجليزية ، ويقوم كاتب هذا المقال بنقلها إلى العربية عن الأصول الخطية الانجليزية التي وضعها السيد المرفئ وبمناقشته .

بيان اللوحات

لوحة رقم ١

مخطوط رقم ٦٨ سيناء - عربي ، ورقة ١٨٥ - ب
موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» - مقاسة ١٤,٨ × ٩,٨ سم -
عدد أوراقه ٤٠٦ - مكتوب على ورق - كاتبه مجهول - تاريخه حوالي
القرن الرابع عشر .

تكشف اللوحة عن التالي :

(١) الخط : نسخي ممتاز بالبنطين الصغير والعريض ، وكتابة
تتعلّق في الوسط .

(ب) الضبط والتقيط : المخطوط منقطع ومضبوط من أوله إلى آخره .

(ج) الأثر العربي : المخطوط يعتبر من أهل المصاحف العربية
المصورة التي يحتفظ بها الدبر . فهو يتميز برسومه البديعة
المذهبة على شكل توريقات نباتية استخدم في تلوينها
الأزرق اللازوردي ، ويبدو الأثر العربي واضحاً فيها .

لوحة رقم ٢

مخطوط رقم ٦٩ سيناء - عربي ، ورقة ١٥
موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» - مقاسة ١٨,٥ × ١٤ سم -
عدد أوراقه ١٥٦ - مكتوب على ورق - كاتبه يدعى القس بطررس - تاريخه
سنة ١٠٦٥ م .

تتميز اللوحة بما يلي :

(١) الخط : نسخي عتيق جيد منق - العناوين ورءوس
الموضوعات بالمداد الأحمر .

(ب) البطائن : أعيد تقوية المخطوط بأربع صحائف في بدايته وثلاث عند نهايته عليها طقوس كنيية باللغة اليونانية القديمة .

(ج) وقف المخطوط على الدير : نص الوقفية مدون على جانب الهامش الأيسر من ورقة ١٥ .

(د) الأثر العربي : يبدو في استخدام تعبير «المصحف الشريف» في نص الوقفية .

لوحة رقم ٣

مخطوط رقم ٧٠ سيناء - عربي ، ورقة ٣٦ - ب
موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» ، مقاسة ٢٣ × ١٧ سم -
عدد أوراقه ١١٣ - مكتوب على رق وورق - كاتبه مجهول -
تاريخ الرق حوالي القرن التاسع ، والورق حوالي القرن الثالث عشر -
يتميز بخطه ، وهو كوفي ممتاز مقروء . والعناوين ورءوس الموضوعات ،
مثل غالبية مصاحف المجموعة العربية ، بالمداد الأحمر .

لوحة رقم ٤

مخطوط رقم ٧٣ سيناء - عربي ، ورقة ١٥٥ - ب
موضوع المخطوط «رسائل بولس» - مقاسة ١٦ × ١١ سم -
عدد أوراقه ٩٦ - مكتوب على رق - كاتبه مجهول - تاريخه القرن
التاسع . يتميز المخطوط بخطه الكوفي الجيد المنسق ، وبقدمه ، وبالرق
المكتوب عليه .

لوحة رقم ٥

مخطوط رقم ٧٤ سيناء - عربي ، ورقة ١٠٩ - ب .
موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» مقاسة ١٦ × ١١ سم -

عدد أوراقه ٢٥٤ - مكتوب على ورق - كاتبه مجهول - تاريخه القرن التاسع - يتميز بخطه الوسط بين النسخ العتيق والكوفي ، فضلا عن قدمه ، والرق المكتوب عليه .

لوحة رقم ٦

مخطوط رقم ١٥٦ سيناء - عربي ، ورقة ١٤ - ب
موضوعه «الأعمال والرمائل» - مقاسة ١٤,٥ × ٢٠,٨ سم -
عدد أوراقه ٢٥٢ - مكتوب على ورق - كاتبه غير معروف -
تاريخه سنة ١٣١٦ م .

تكشف اللوحة عن التالي :

(١) الخط : نسخي عتيق مقسق .

(ب) الحالة العامة : الصفحة مبقعة ، ويظهر التآكل بوضوح وبخاصة عند الأطراف ، ويبدو أنه نتيجة قرض فأر .

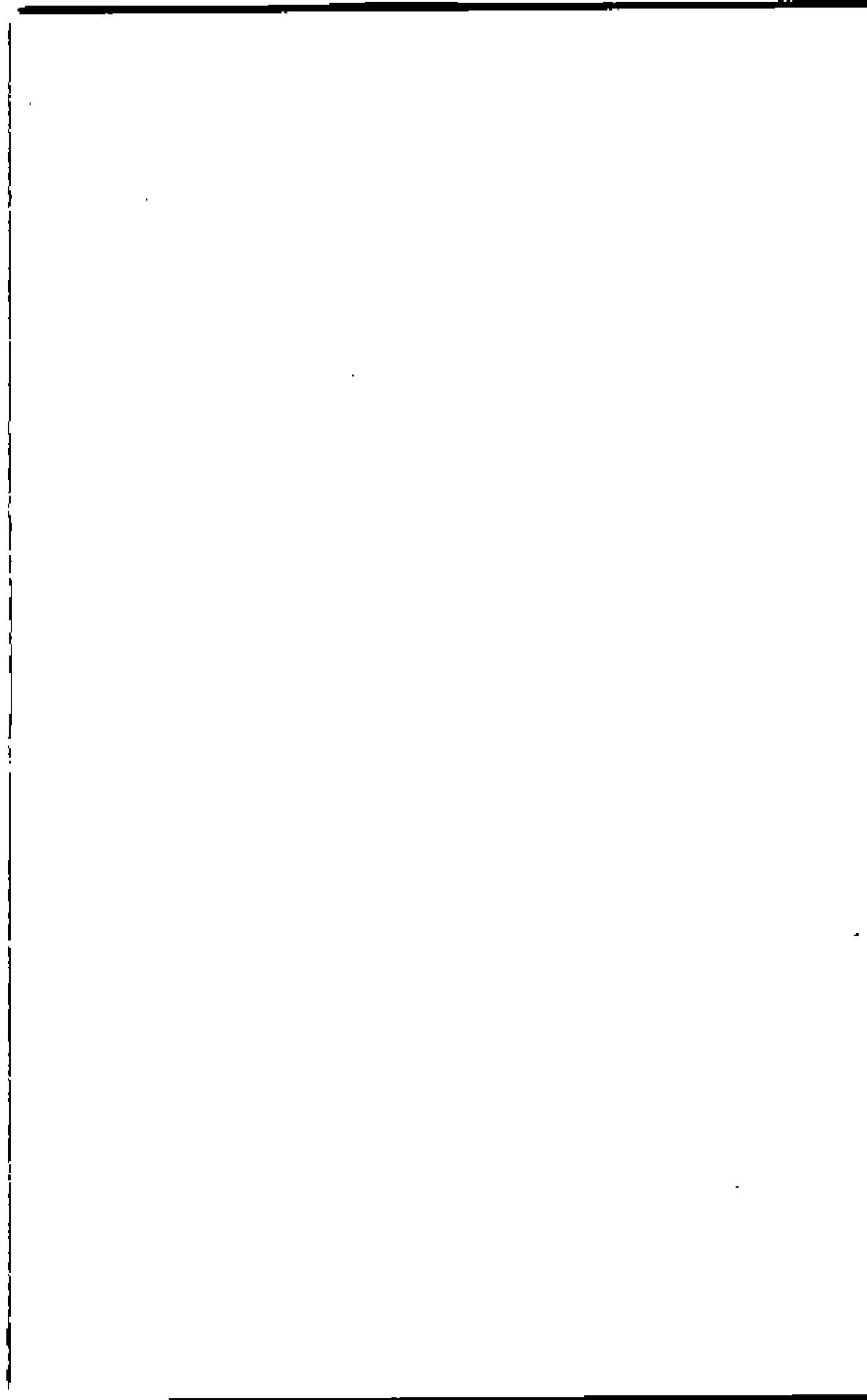
لوحة رقم ٧

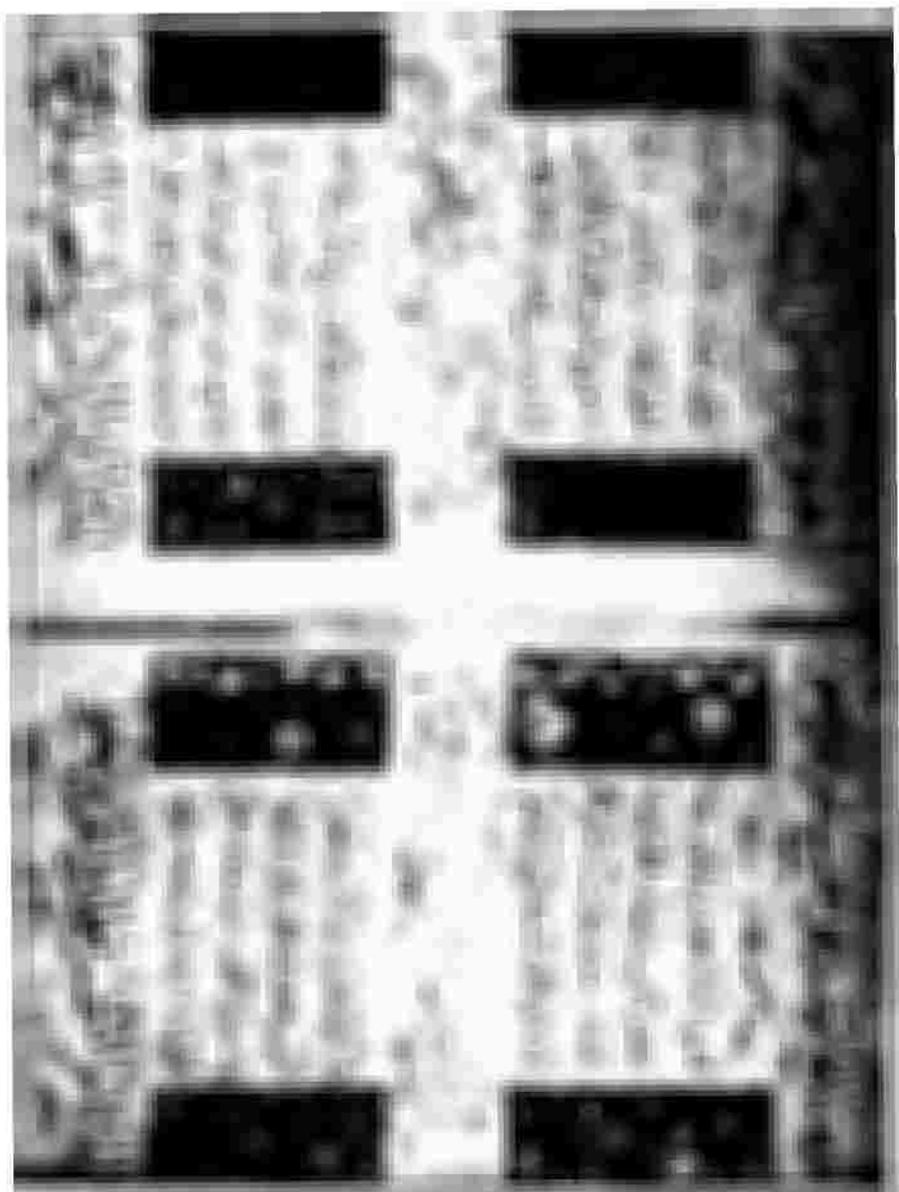
مخطوط رقم ١٨٥ سيناء - عربي ، ورقة ١٩ - ب
موضوعه «أورولوجيون» - مقاسه ١٨ × ١٣,٥ سم - عدد أوراقه
١٨٢ - مكتوب على ورق - كاتبه يدعى يعقوب بن ابراهيم بن سمعان -
تاريخه سنة ١٢٣١ م .

تكشف اللوحة عما يلي :

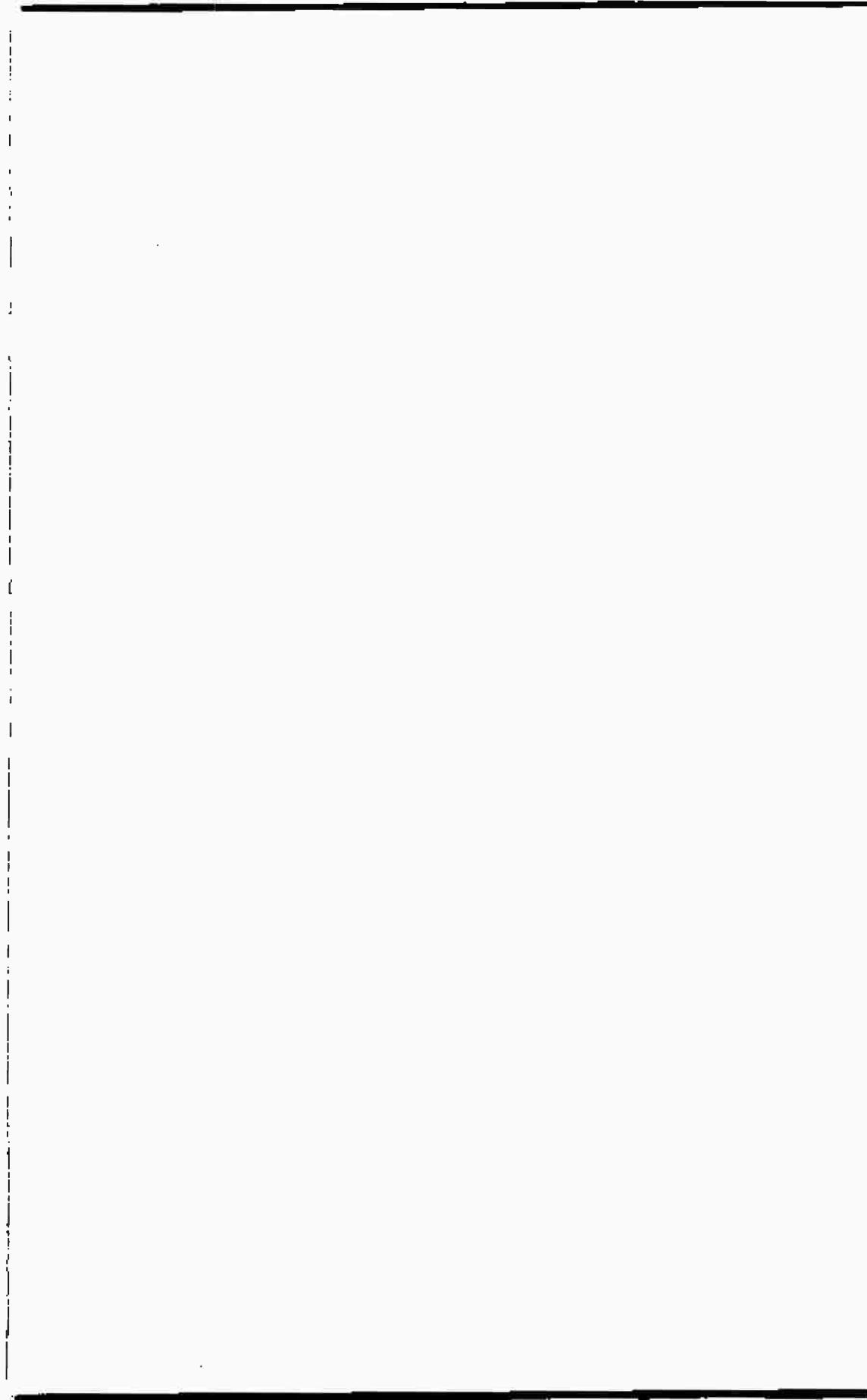
(١) الخط : نسخي عتيق غليظ رديء .

(ب) الحالة العامة : الورقة مبقعة وبالية جزئياً .





لوحة رقم (١)



هذا عهد علي بن ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان

في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان
في عهد ابي طالب و قد عمل في طبرستان ما لا يحصى سلطانا له في طبرستان





بجانك الامل في شجور و الاملاك القلما عن
 الجاسر من خضرتا من استخفافك فطعتك
 اليك فليس قدوس قدوس اشيا الله
 سوتل واليه الا الرجاء الا هو
 المبر منظور الوقت في الكمال صاحب
 مع الكار انهم بالك فتمت لهيات نعمها
 بالبحر والحدود صار خير قدوس
 قدوس اشيا الله بوسل وندله الا الله
 التور والكل الطرحي ما نسي
 واطهرى للماضي تنومك عندك
 واهي قدوس قدوس اشيا الله بوسل

الله بوسل واليه الا الرجاء الا الله
 واقتر ليريك خافين والكار انهم من اعلم
 منك مرتد من قرون لك بنبهه غير
 صامبه تسبعا مثانا انك ليه بعد فتم
 الكبح الخلاله قدوس قدوس
 اشيا الله سوتل واليه الا الرجاء
 هنيئ تحييا الى عرجه ذلك الا هم
 ما تخاد غير تحاط وكم على الا الله
 قدوس قدوس اشيا الله سوتل
 واليه الا الرجاء اشيا الله الذي
 القابله سحاشا اشيا الله
 بحله